الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

بلاغة التواصل الإشاري عند الجاحظ من خلال كتابه: البيان والتبيّن

مذكرة من متطلبات التخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

شعبة: دراسات لغوية

تخصص: لسانيات عربية

من إعداد:

- حليمة خطوي

بإشراف من الدكتور:

د. محمد مدّور

الموسم الجامعي: 1444هـ _1445هـ / 2023_2024م

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

إهـــــــــــــداء:

إلى من هم أكرم منا مكانة... أطفال فلسطين وشهداؤها

إلى روح أبي:" الحاج عواك" برّد الله مضجعه، وأنزل على قبره الرحمة وجعله في الفردوس الأعلى.

إلى أمّي الغالية التي شدّت من عزيمتي في البحث، حفظها الله ورعاها ومتّعها بدوام الصحة والعافية وأمدّ بعمرها على طاعته.

إلى روح زوجي:" خليل" أنار الله قبره، وأنزل عليه الرحمة و جعله في زمرة الشهداء والصدّيقين.

إلى اللذين وقفا إلى جانبي وصبرا معي وساعداني حتى أصل اليوم ابني: «الحسن أبو القاسم" و ابنتي: «هناء".

إلى إخوتي وأخواتي...

شكـــــــــــــــــــــر

الحمد لله وحده.. والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعد:

إنّ شكر النعمة ليفرض عليّ بعد شكر المعين القدير أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من أمدني بمعلومة أو زودني بفكرة أو صحح لي مفهوماً أو وضّح لي ملتبساً، فأشكر أولاً قسم اللغة والأدب العربي بجامعة غرداية وكل منسوبيه الأفاضل على تعاونهم وتشجيعهم.

وأخص منهم بالشكر أستاذنا الفاضل المشرف على البحث: الدكتور محمد مدّور على ما أبداه من دعم وما قدمه من ملحوظات قيّمة و تصويبات علمية ومنهجية، أنارتْ طريقي، وما شملني به من جميل صبره وحسن توجيهه، فله مني خالص الشكر وجزيله.

كما لا يفوتني أن أشكر أساتذة دفعة السنة الثانية ماستر تخصص لسانيات عربية وتحية شكر خالصة إلى زملائي في الدفعة.

إلى السيد مدير متوسطة الإمام الربيع بن حبيب: عمر بضليس" على دعمه الكامل.

إلى زملائي في ذات المؤسسة على تعاونهم.

فاللهَ أسألُ أنْ يجزيهم جميعاً خير الجزاء، وأن يجزل لهم المثوبة والأجر.

الطالبة حليمة خطوي

غرداية: 14ذو القعدة 1445هـ/ ماي 2024م

ملخص البحث:

درس العلماء اللغة وتدارسوها، فتنبهوا إلى أنّ أصحاب كلّ لغة قد تجاوزوا حدّ اللغة المنطوق والمكتوب إلى طرق تواصلية متنوعة للتعبير عن أغراضهم وتلبية لاحتياجاتهم، والعرب أصحاب العربية على غرار أولئك حين كانت لهم اساليب وطرق تواصل غير لفظي مكنتهم من الإعراب عن خطاباتهم المبطنة ومن ترجمة ما يستدعيه المحيط من معان اجتماعية وإنسانية ونفسية، ربما لا يمكن للسبل المباشرة المعهودة أن تفصح عنها. والأغلب أنّ ما يؤكد ذلك ما أورده اللغويون والبلاغيون وغيرهم في مؤلفاتهم من الإشارة في أكثر من موضع إلى التواصل غير اللفظي الذي تعددت صوره وأشكاله. فوجدنا منهم في تراثنا ما أورده الجاحظ(ت255هـ) في كتابه " اليبان والتبيّن" الذي أشار فيه على الإشارة باختلاف أصنافها وأنواعها. وحسبنا من هذا كلّه أن نقف على أهمية هذا الجانب من التواصل ومدى اهتمام البلاغيين كالجاحظ به، فكان كتاب" البيان والتبيّن" مدار بحثنا هذا.

الكلمات المفتاحية: اللغة– التواصل غير اللفظي– الإشارة– البيان والتبيّن– الجاحظ

Abstract:

researches have studied and analyzed language, and they have realized that speakers of each language have gone beyond the limits of spoken and written language to employ diverse communicative methods to express their intentions and fulfill their needs. Arabs, like other language speakers, have developed nonverbal communication techniques that enable them to express implicit messages and convey social, human, and psychological meanings that may not be adequately conveyed through conventional direct means. This is further supported by the frequent references to nonverbal communication, in its various forms and expressions, found in the works of linguists, rhetoricians, and others.

Among the Arabic heritage, we found the works of al-Jahidh in his book "al-Bayanewa al-Tabyine," wherehe discusses gestures in their various types and categories. This, along with the overall significance of this aspect of communication and the extent to which rhetoricians like al-Jahidh have focused on it, prompted us to make his book "al-Bayan wa al-Tabyine" the subject of this research.

Keywords: Language - Nonverbal Communication - Gestures - al-Bayanewa al-Tabyine – al-Jahidh

مقدمة

منذ وجوده سعى الإنسان إلى التواصل مع غيره، فانبرى يستخدم مختلف الوسائل من لفظ وإشارة وغيرهما. ولما كان التواصل حاجة اجتماعية وركيزة أساسية؛ برزت الحاجة لدراسته و فهم مختلف وسائله وأدواته. وقد عنيت علوم عديدة بدراسته وتحليل أساليبه باعتباره شكلا من أشكال اللغة.

حصر ابن جني(392هـ) اللغة عندما عرفها في الصوت فقال: "هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[1]وربما خدم هذا التعريف كثيرا ممن نظّروا إلى اللغة لذاتها ودرسوها من خلال نظامها الداخلي فحسب، إلا أنهم بذلك غفلوا عن قضية نشوء تلك الأصوات بفعل التأثير والتأثُّر. حتى قيّض الله بعض البلاغيين الذين فتحوا أبواب البيان حين استنطقوا الصمت وجعلوا منه لغة أخرى تجاوزوا بها ما يعبّر به اللسان، مستقرئين في ذلك ما يفصح عنه الوجه والعينان واليدان والقدمان وحتى الثياب وما يحمل من قِبل الإنسان من أدوات وغيرها.

وقد كان من بين أولئك أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الذي غدت بفضله لغة الجسد عنوانا متداولا معروفا تدرس من خلاله تلك الدلالات التي تُخلق منها وتكون بذاتها بيانا مستقلا عن بيان اللسان؛ لا يقل عنه بلاغة وإفصاحا. إذ يمكن أن نعتبر أن الجاحظ ربما هو أول من وضع الأسس الأولية لما يسمى بعلم السيمياء الحديث، فماهي العلاقة بين الإشارة الجسدية عند الجاحظ والإشارة في علم السيمياء الحديث باعتبار ما سبق؟ وماهي رؤية الجاحظ لها من خلال كتابه:" البيان والتبيّن"؟ وماهي أشكال التواصل الإشاري عنده وكيف يتحقق البيان من خلاله؟

يعتبر الجاحظ أول البلاغيين العرب الذين اهتموا بدراسة بلاغة الإشارة؛ فقد خصص في كتابه: (البيان والتبيّن) فصولا لدراسة هذا الموضوع مبينا من خلالها أهمية الإشارة الجسدية وأنواعها ووظائفها في التعبير والإقناع والتبليغ والتواصل. ولم يقتصر اهتمام الجاحظ بالإشارة كوسيلة من وسائل تحقيق البيان

[1]أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص/ج1، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية/ط 1913م،ص33

على ما جاء في كتاب:" البيان والتبيّن" بل تعدى ذلك إلى عديد من مؤلفاته على غرار" كتاب الحيوان" و كتاب" البخلاء" ولكننا في بحثنا هذا سنركز على رؤية الجاحظ للإشارة وبلاغتها من خلال كتابه" البيان والتبيّن".

و قد وقفنا على هذا الموضوع نظرا لأهميته التي تتشكل من جوانبَ عديدةٍ أهمها:

الجانب التاريخي: إذْ يعد الجاحظ أحد رواد علم البلاغة العربية و دراسة أفكاره تساعد على فهم تطوّر نظرية التواصل بأشكاله بما فيه التواصل الإشاري.

الجانب الأدبي: تساعد دراسة التواصل الإشاري على فهم مختلف أساليب التعبير في اللسان العربي وفهمها وإدراك مدى تأثيرها على المتلقي.

الجانب التواصلي: حيث تساعد دراسة بلاغة التواصل الإشاري على فهم كيفية استخدام الإشارة كأداة فاعلة في التواصل وفهم تأثيرها على المعنى والدلالة.

الجانب التعليمي التعلّمي: إنّ دراسة الإشارة يمكن أن يكون لها بعد تعليمي تعلّمي من خلال تمثل أداءات اللغة في مهاراتها الأربعة: القراءة؛ صامتة كانت أو جاهرة، والاستماع والتعبير الشفهي، فتضيف لنا مهارة خامسة وهي مهارة المشاهدة خاصة حين يقترن الخطاب اللغوي بالصورة والحركة.

وقد كان موضوع البحث هذا اقتراحا من قبل الأستاذ المشرف، الذي كانت له نظرة استشرافية لمدى أهمية هذا الموضوع خاصة بالنسبة للمجال التعليمي الذي هو من أهم المجالات التي يمكن لطالب الدراسات اللغوية أن يبرع فيه، فلابد له من الاطلاع على كافة الوسائل والأنماط التي تعينه على تحقيق التواصل بينه وبين متعلميه، أضف إلى جدوة ذلك في تحقيق غايات التواصل والإقناع والتبليغ في إطار العمل كمعلم للغة العربية في أي طور دراسي كان.

وقد تصوّرنا بدورنا أن يكون منهج بحثنا هذا في إطار من الوصف والتحليل من خلال جمع وملاحظة المعلومات من مصادرها وتحليل النصوص واستقرائها؛ فاستخلاص النتائج ونقدها.

فكان على فصلين اثنين، فالفصل الأول وهو النظري الذي خصصناه لدراسة نظرية التواصل بتعريف التواصل لغويا واصطلاحيا وتبيان عناصره وأشكاله وأهميته. ثم انبرينا لدراسة نظرية شاملة للإشارة والتواصل الإشاري، فعرّفنا الإشارة وعددنا أنواعها وبيننا وظائفها وأشرنا إلى الإشارة قبل الجاحظ وبعده خاصة في الدرس اللساني الحديث.

أما الفصل الثاني تناولنا دراسة تطبيقية عن التواصل الإشاري عند الجاحظ خاصة من خلال كتابه "البيان والتبيّن" وكيف تناول الجاحظ هذا الجانب العلمي وكيف فصّل فيه، فرأينا كيف صنف الجاحظ الإشارة وكيف كانت عنده بالنسبة للفظ أو العبارة والصوت وغيرها من أساليب البيان، ثم ذكرنا أهمية الإشارة عند الجاحظ من خلال بيانه. وكان هذا الفصل رصدا لمعظم نماذج و تطبيقات أنواع الإشارات التي تناولها الجاحظ في كتابه بتتبع الأمثلة الكثيرة التي كانت في الكتاب.

ذيلنا الفصول بخاتمة للبحث، مبينين فيها أهم النتائج المتوصل إليها، تلتها قائمة لجميع المصادر والمراجع التي تمّ الاستعانة بها لإنجاز البحث بتوفيق من الله عز وجل.

إلا أنني وفي إطار تنفيذ الخطة الآنف ذكرها واجهت بعض الصعوبات والتي كان من أبرزها، هو عدم توفر الوقت اللازم بين موافقة اللجنة المختصة على موضوع البحث و البدء في إنجاز البحث لتسليمه في الآجال المحددة، خاصة وأنّ البحوث المتعلقة بالنصوص التراثية توجب الغوص في أعماق تلك النصوص من مصادرها الموثوقة والاعتماد على مصدر بتحقيق موثق، ولم يكن الحصول على نسخة محققة ذات جودة علمية وكفاءة متوفرا بشكل ورقي فكان الاضطرار مني على الاعتماد على النسخة الرقمية، التي تضمنت أربعة مجلدات، كلّ مجلد منها يفوق الثلاثمائة صفحة، وقراءة كل هذه

المجلدات بالدقة والتمحيص يتطلب وقتا ليس بيسير وهذا ما مثل أكبر عائق بالنسبة لي أثناء إنجاز هذا البحث.

والذي لاحظته أثناء إنجاز البحث هو أنّ الموضوع لم يأخذ حقه كفاية من الدراسات السابقة إذ أن كل ما وقعت عليه يدي من دراسات سابقة له كانت عبارة عن مقالات متفرقة هنا وهنالك ولم تخصص له دراسة علمية دقيقة و ومفصلة، وحتى الكتب لم تفصل في موضوع التواصل الإشاري عند الجاحظ وإنما كانت فيها إشارات فقط وأمثلة لا تعدو أن تكون استشهادا، ومع ذلك فيجدر بنا ذكر بعض الدراسات الأكاديمية التي استوقفتني أثناء بحثي والتي تناولت الموضوع بحثا ودراسة وتحليلا، نذكر منها: دراسة للباحثة هناء عبد الرضا رحيم الربيعي والتي عنونتها بـ:" التواصل الإشاري الإبلاغي في التراث البلاغي العربي الجذور والامتدادات" حيث أنها في هذه الدراسة توسعت في مفهوم الإشارة في التراث العربي ثم حاولت أن تفصل في رؤية الجاحظ للإشارة الجسدية دون أن تخصص في ذلك جزءا لإعطاء أمثلة من أحد كتبه. كذلك نذكر دراسة للباحثيين من جامعة محمد لمين دباغين:(نور الدين بورزان و صلاح الدين زرال) والموسومة بـ:" التواصل غير اللغوي عند الجاحظ– أشكاله ودلالاته" فقد اطنب الباحثان في الكلام عن التواصل بشكل العام ثم ذيلا بحثهما بإعطاء أمثلة متفرقة من كتب الجاحظ عن الإشارة الجسدية دون تخصيص لكتاب واحد. ووجدنا أيضا دراسة أكاديمية ربما كانت أعمق وأشمل من سابقتيها في الذكر للباحث من المركز الجامعي بالنعامة والموسومة بـ:" لغة الجسد في التراث البلاغي– كتاب البيان والتبيين للجاحظ نموذجا.

الفصل الأول: نظرية التواصل

المبحث الأول: تعريف التواصل:

1.1. **لغة:** جاء في لسان العرب: وَصَلَ؛ وَصَلْتُ الشّيء وَصْلاً وصِلَةً، والوَصْلُ خلاف الفصل، ووَصَلَه إليه وأبلغه إياه.[1] ووَصَل بمعنى: اتّصل، ومنه الاتصال، فلان رَحِمَهُ يَصِلُها صِلَةً، أيّ بينهما اتصال[2].ومنه الوصْل وهو ضد الهجران.وفي الوسيط: وصل الشيء بالشيء؛ وصلا وصلة؛ ضمّه به وجمعه ولأمه.[3]

وبالتدقيق في أغلب الشروحات اللغوية لمعنى الاتصال والتواصل تحت الجذر (و.ص.ل) نجد أنها تشمل معنى الضمّ والانتماء والانتهاء إلى الشيء وعدم الانقطاع عنهوبلوغه، ونقول اتصل الحديث لم ينقطع. وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى:" ولقد وصلنا لهم القول لعلّهم يتذكرون" القصص/51

1.2. **اصطلاحا:** يمكن اعتبار تعريف سرونسكي للاتصال والتواصل هو أفضل التعريفات المتاحة إذ قال عنه بأنه:" نقل المعلومات بين الأفراد نقلا مفيدا بقناة محددة وهو أيضا نظمُ صناعة الأخبار بواسطة العلامات[4]، و الاتصال عملية ديناميكية تتم بالحركة وعدم الجمود كما أنه عملية مستمرة إذ يشترك الناس جميعا في الاتصال بإرسال واستقبال وأخذ وعطاء وتأثير وتأثر يعتمد على استجابات المرسل والمستقبل.

وهو عند شارل كولي Charles Cooley الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطوّر. إنّه يتضمّن كلّ رموز الذّهن، مع وسائل تبليغها عبر المجال، وتعزيزها في الزمان، ويتضمّن

---

[1] جمال الدين محمد بن منظور، لسان العرب/ج11،دار الكتب العلمية، ط2009، ص868

[2] جمال الدين محمد بن منظور، المرجع نفسه، 869

[3] مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية/ط4-2004م، ص1037

[4] محمد العبد، العبارة والإشارة(دراسة في نظرية الاتصال)،مكتبة الآداب، ط2/2007م، ص9

أيضا تعابير الوجه، وهيئات الجسم والحركات، ونبرة الصّوت والكلمات والمطبوعات والقطارات والتلغراف والتلفون. وكلّ ما يشمله آخر ما تمّ في الاكتشافات في المكان والزمان"[1]

والجاحظ في كتابه " البيان والتبيّن" كان مدار العمل عنده يدور حول مسائل فنّ القول و العمل الأدبي بعامة؛ وهو بذلك رسائل لغوية موجهة من المتكلم إلى المتلقي، تتمثل فيها محاور الاتصال التي نعرفها. و يعد الجاحظ من أبرز المنظرين العرب الأوائل لنظرية التواصل فقد استطاع التأسيس لها والوقوف على أطرافها ويستبين وسائلها وأهدافها، قد اهتدى الجاحظ في وقت مبكّر إلى ما تقتضيه عملية التواصل من مرتكزات تنتظم من خلالها دورة التخاطب المفضية إلى تحقيق المقاصد والغايات. وقد قاده البحث في هذا المجال إلى إرساء دعائم نظرية متكاملة الأركان تشير إلى أنّ المنجز اللّغوي مرتبط بسياق خاصّ تراعى فيه جملة من العوامل المؤثّرة في عملية التواصل التي يؤطّرها المتكلّم على اختلاف درجاته، والسّامع وأحواله، والمقام وملابساته، والرسالة وما تتميّز به من خصائصَ تؤهّلها لحمل الأفكار. وقد جعل الجاحظ من الوظيفة الاتّصالية المتمثلة في الغاية التي يجري إليها القائل والسّامع بتعبيره حجر الزّاوية في بناء العملية التواصلية كونها المحرّك الفاعل لهذه الأطراف. فعلى أساسها تضبط البنى التركيبية في نظمها وانتظامها وعلى هديها تتنزّل الأساليب في إخراجها على مقتضى الظّاهر أو على خلافه تبعا لمقتضيات الأحوال.

إنّ مصطلح البيان في كتابات الجاحظ قد أخذ مفاهيمَ متعدّدة بتعدّد السياقات التي يرد فيها. فقد يتّسع مدلوله ليشمل مختلف وسائل التعبير الممكنة. وهو الذي يعبّر عنه حاليا بعلم العلامات. وهذا فإن

[1] جميل حمداوي، التواصل اللساني والسيميائي والتربوي،ط2015/1، ص6

مفهوم البيان عند الجاحظ مفهوم إجرائي، أي أنّ العملية الموصلة إلى الفهم والإفهام في حالة اشتغالها، حتى وإن اقتضى الإجراء التعليمي تقديمها منفصلة أو ساكنة أحيانا.[1]

2. **عناصر التواصل:**

تتم عملية التواصل من خلال مكونات عديدة وقد ركز فيها الجاحظ على ثلاثة منها هي: الرسالة/ المرسل/ المستقبل، حين قال:" والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى... حتى يفضي السامع إلى حقيقته ..... لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام."[2] والجاحظ من خلال كلامه هذا قد أسس لنظرية تواصلية تخاطبية كاملة متكاملة العناصر والأركان وحتى الغايات.

1.2. المرسل Communicator: هو عند الجاحظ صاحب دور كبير في عملية التواصل ونجاحها وقد أبرز دوره حين قال:" وقال الله تبارك وتعالى:" وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم" لأن مدار الأمر على البيان والتبيّن وعلى الإفهام والتفهّم وكلّما كان اللسان أبينَ كان أحمد"[3] ولا نظنه باللسان هاهنا يقصد غير لسان المتكلم أو المرسِل حتى أنه أشار إلى تقديم المرسل على المتلقي فقال:" والمفهِم لك والمتفهم عنك شريكان في الفضل إلا أن المفهم أفضل من المتفهم وكذلك المعلم والمتعلّم هكذا ظاهر هذه القضية" وقال في موضع آخر مبرزا أهمية المرسل:" وقال بعض الأوائل: إنّما الناس أحاديثُ فإن استطعت أن تكون أحسنهم حديثا فافعل"[4].

---

[1] محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها،أفريقيا الشرق1999،ص 191

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبين/ج1، ص76

[3] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص11

[4] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه،75

2.2. المستقبل/ المتلقي The receiver: قال فيه الجاحظ:" والمفهم لك والمتفهِّم عنك شريكان في الفضل"[1] وقد أكد في مواضعَ عديدةٍ في بيانه على ضرورة مراعاة المستمع والعناية بحاجته والسعي إلى التأثير فيه فقال:" والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ماكان ذلك البيان... لان مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأيّ شيء بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[2] والإفهام هاهنا متعلق بالسامع أم المتلقي، وذكر في موضع آخر عن أبي عُقيْل بن دُرُسْت مستشهدا به على أهمية المستقبِل السامع:" نشاط القائل على قدر فهم المستمع" واستشهد بقول أبي مسهر في ذات السياق:" ما حدثت رجلا قط إلا أعجبني حسن إصغائه حفظ عني أم ضيع"[3].

3.2. الرسالة *Message* بحثنا عنها في بيان الجاحظ فإذا به يقول عنها:" المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم والمختلجة في نفوسهم والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم مستورة خفية وبعيدة وحشية ومحجوبة مكنونة وموجودة في معنى معدومة... وإنّما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها"[4] فالرسالة إذن عند الجاحظ هي تلكمُ الأفكار والمعاني المجتمعة في ذهن المرسل والتي يعبر عنها فيخبر بها المتلقي.

3.3. الظرف أو البيئة: لقد أكد الجاحظ في أكثر من موضع على ضرورة مراعاة المتكلم للمقام فقال مستشهدا بلسان بِشر بن المعتمر:" وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما

---

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص11

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص75

[3] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه/ج2، ص 40

[4] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه/ج1، ص 75

يجب لكل مقام من المقال"[1] فالعبرة عند الجاحظ بالمعنى والمقام وأحوال المستمعين لا بالألفاظ من حيث هي في ذاتها، إذ يقول:" ولكلّ صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها"[2] أي أن الناس قبل أن يتفقوا على لفظ خاص بدلالة ما قد جربوا قبلها ألفاظا أخرى حتى رسوا على الحالي منها، و أردف قائلا:" وقبيح بالمتكلم أن يفتقر إلى ألفاظ المتكلمين في خطبة أو رسالة أو في مخاطبة العوام و التجار أو في مخاطبة أهله وعبده و أمته أو في حديثه إذا تحدث أو خبره إذا أخبر وكذلك فإنه من الخطأ أن يجلب ألفاظ الإعراب و ألفاظ العوامّ وهو في صناعة الكلام داخلٌ، ولكلّ مقام مقال، ولكل صناعة شكل"[3] وهو بذلك يعبّر عن وجوب موازنة المتكلّم بين المعاني وحالات المتلقين فيجعل لكلّ حالة من ذلك مقاما يليق بها.

5.2. التغذية الراجعةFeedback : نبّه إليها الجاحظ في عديد المواضع منها عند قوله على لسان مطرف بن عبد الله:" لا تقبل بحديثك على من لا يقبل عليه بوجهه" أي لا تتحدث مع من لا يصغي إليك ولا يهتم بحديثك، وقوله كذلك على لسان عبد الله بن مسعود:" حدّث الناس ما حدجوك بأبصارهم وأذنوا لك بأسماعهم وإذا رأيت منهم فتَرة فأمسك"[4] وذكر أيضا مستشهدا ببعض الحكماء في ذات الصدد:" من لم ينشط لحديثك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك"[5] وهو بذلك يؤكد على الوظيفة التفاعلية للتواصل ويقر بوجوب التغذية الراجعة التي يتلقاها من المستمع المرسلُ من إقبال وحسن إصغاء وتواصل بصري معه.

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه/ج1، ص 136
[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان/ج3، ص 368
[3] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه/ج3، ص 368
[4] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبين/ج1، ص104
[5] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبين/ج1، ص 105

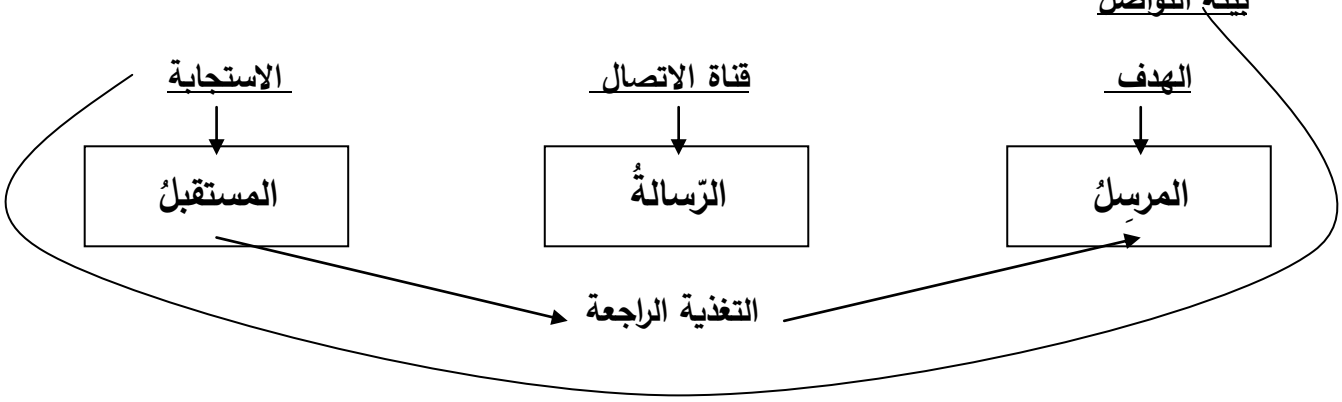

6.2. التشويش: أشار إليه الجاحظ في قوله على لسان الإمام إبراهيم بن محمد:" يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع"[1]، ومصادر التشويش عنده اثنان: الأول المتكلم لنقص في وسائل الإفهام أو سوء في التعبير والثاني المستمع وعدم اهتمامه بالرسالة أو استعصاؤهفهمها، و من نماذج سوء التعبير الموقف الذي حكاه عن أبي علقمة:"قال أبو علقمة النحوي: يا آسي، إني رجعت إلى المنزل وأنا سنِقٌ لَقِسٌ، فأُتِيت بشِنْشنةٍ من لِوَيَّةٍ ولكيك،وقِطَع أَقْرنَ قد غَدَرْنَ هناك من سَمْن، ورُقَاقٍ شِرشِصان، وسَقيط عُطْعُط ، ثم تناولت عليها كأساً، قال له الطبيب: خُذْ خَرْفَقاً وَسَفْلَقاً و جَرْفَقاً ، قال: ويْلَكَ أيُّ شيء؟ قال: وأي شيءٍ ما قلت؟"[2] والآسي هو الطبيب.

فإن الصعوبات المترتبة على فهم هذه الرسالة أدتْ إلى تشويش نفسي. وبالتالي فعملية تحسين الاتصال تتطلب تنقية الرسالة باستمرار من خلال تعميق خبرة المرسل. "فإنَّ ازدحامَ الكلام فيِ السَّمع مَضَلَّةٌ للفهم"[3]

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبين/ج1، ص 87
[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبين/ج2، 270
[3] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص 73

دورة التخاطب عند الجاحظ:

المقام(على قدر وضوح الدلالة)

المخاطِب(الناس) ——— الخطاب(المعاني القائمة في صدور الناس) ———المخاطَب(الإنسان في عزلته)

قناة التخاطب (اللغة)

وضع الخطاب:(وإنما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إياها)[1]

3. أنواع التواصل:

التواصل نوعان: لفظي وغير لفظي

1.3. التواصل اللفظي: رأينا فيما سبق أنّ من معاني التواصل الجمع والضمّ واللأم؛ فكذلك هو التواصل اللفظي يفضي إلى ضمّ وجمع اللفظ مع المعنى بغية التأثير في المتلقي.وقد جعله الجاحظ على رأس قائمة أنواع التواصل فقال:" وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسةُ أشياءَ: أولهما اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال التي تسمى النِّصبة"[2]. ويمكن تقسيم التواصل اللفظي إلى شكلين رئيسيين: تواصل لفظي منطوق وتواصل لفظي مكتوب، باعتبار أساس انقسام اللغة ذاتها إلى: لغة منطوقة ولغة مكتوبة[3].

2.3. التواصل غير اللفظي: لقد تعددت تعريفات التواصل غير اللفظي بتعدّد المجالات التي تناولته بالدراسة وتنوعها، وكتعريف موسع يعتبر التواصل غير اللفظي: "تلك الرسائل التواصلية الموجودة في الكون الذي نعيشه ونتلقاها عبر حواسنا الخمس ويتم تداولها عبر قنوات متعددة وتشمل كلّ الرسائل

[1] الجاحظ، البيان والتبيّن/ج1،ص 75

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبين/ج1، ص76

[3] محمد العبد، العبارة والإشارة، ص 25

التواصلية حتى تلك التي تتداخل مع اللغة اللفظية والتي تعتبر من ضمن بنيتها"[1]. وتتجلى رسائل الاتصال غير اللفظي عبر سلوك العين وتعبيرات الوجه والإيماءات وحركات الجسد وهيئة الجسد و أوضاعه والشمّ واللمس والذوق والمسافة والمظهر والمنتجات الصناعية والصوت والوقت ومفهوم الزمن[2]. وكلّ وسيلة من هذه الوسائل نظام تواصليّ متكامل، يمكن أن يؤدي وظيفته مستقلا عن غيره ومستقلا عن الوسيلة اللفظية، كما يمكن أنْ يؤديها في صحبة وسيلة أخرى لتحقيق مستوى أعلى من الدقة والوضوح و التأثير. يقول أحمد مختار عمر:" وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن نسبة ما تحمله الألفاظ في الحوار المباشر من معان لاتزيد عن 35 بالمائة من مجموع الرسالة ولذا فقد أعطى الوسائل غير اللفظية ثِقلا أعظم في أيّ حوار بين شخصين بل هناك من بالغ في تحديد هذا الثقل للوسائل غير اللفظية فرفع نسبته إلى 93 بالمائة من التأثير الكلّي للرسالة"[3]. وقد أطلقت على الاتصال غير اللفظي عدة تسميات منها: الاتصال الجسدي ولغة الجسد و الكلام الجسدي والحركة الجسمية والسلوك الحركي و علم السلوك الحركي والتعبير بالوجع واللغة الصامتة والتواصل الإشاري[4]، فقد تكتفي بدل التلفظ بفعل الأمر: (اخرج) أو (انصرف) تكتفي بالإشارة بيدك أو إصبعك ناحية الباب قاصدا بذلك (اخرج).

وكما أن للتواصل اللفظي قنوات يتم من خلالها أو عبرها فكذلك للتواصل غير اللفظي أو الإشاري فقنواته هي أعضاء الجسد التي يتم عبرها التعبير عن الرسائل الاتصالية.

[1] محمد الأمين موسى أحمد، الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم، دائرة الثقافة والإعلام- الشارقة/ط1-2003م، ص40.
[2] محمد الأمين موسى أحمد، المرجع نفسه، ص40
[3] أحمد مختار عمر، أنا واللغة والمجمع، عالم الكتب- القاهرة/ط1-2002م، ص129.
[4] محمد العبد، العبارة والإشارة، ص100

3. أشكال التواصل عند الجاحظ:

- **أولا التواصل باللفظ:** ويقصد به التواصل الشفوي وقد سماه التواصل باللسان، فقد أدرك الجاحظ أهمية اللفظ المنطوق:" وقلنا في الحاجة إلى المنطق وعموم نفعه وشدة الحاجة إليه وكيف صار أعمّ نفعا، ولجميع هذه الأشكال أصلا، وصار هو المشتق منه والمحمول عليه"[1]. كما أشار إلى فيزيولوجية العلامة اللغوية من خلال الصوت:" والصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت"[2].
- **ثانيا التواصل بالإشاره:** يقول الجاحظ:" وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان"[3] وسيتم التفصيل في الإشارة فيما هو قادم.
- **ثالثا التواصل بالخط:** وهو التواصل بالكتابة يقول:" فأما الخطّ فما ذكر الله تبارك وتعالى في كتابه من فضيلة الخط والإنعام بمنافع الكتاب...وأقسم به في كتابه المنزل على نبيّه المرسل حيث قال:" نون والقلم وما يسطرون" ولذلك قالوا: القلم أحد اللسانين. وقالوا: القلم أبقى أثرا واللسان أكثر هذرا."[4] إذ تعددت مواضع ذكر الجاحظ لأهمية الخط في التواصل الإنساني؛ فللخط عنده وظيفة أساسية في تلك العملية فهو يضمن عمليه التواصل رغم بعد المسافة بين أطرافها ولا يتقيد بزمان ولا بمكان معيّن يقول:" وقالوا اللسان مقصور على القريب الحاضر والقلم مطلَق في الشاهد والغائب، وهو للغابر الكائن مثله للقائم الراهن والكتاب يقرأ بكلّ مكان ويدرس في كلّ زمان واللسان لا يعدو سامعَه ولا يتجاوزه إلى غيره"[5] كما ذكر أنّ من فضائل الكتابة أنها تمكنك من التصحيح وتدارك الأخطاء

---

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان/ج6، ص 6

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيّن/ج2، ص79

[3] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص79

[4] أيو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيّن/ج1، ص79

[5] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه/ج1، ص80

فالمستعمل عنده لهذا النوع من التواصل يجد الوقت لمراجعته مبنى ومعنى؛ فقال:" وقال عبد الرحمن بن كيسان استعمال القلم أجدر أنْيَحُضذً الذّهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام."[1]

- **رابعا التواصل بالعقد:** جعله الجاحظ في المرتبة الرابعة، وقال عنه:" وأما القول في العقد هو الحساب دون اللفظ والخطّ"[2]، والعقد هو ضرب من الحساب، يكون بأصابع اليدين ويقال له حساب اليد، وقد ألفت فيه كتب عديدةو أراجيز، وقد ورد في حديث يأجوج ومأجوج أنّه:" عقد بيده تسعين"[3]، ثم استدل الجاحظ على فضل الحساب وعظم قدر الانتفاع به بقول الله –عزّ وجلّ–:" فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم"(الآية96/سورة الأنعام)؛ فالعقد عند الجاحظ يدل على نظام تواصليّ صريح يختص بمفاهيم الحساب وكيفية نقلها بين طرفيّ التواصل وقناته هي حاسة اللمس.
- **خامسا التواصل بالنّصبة:** وقال فيه الجاحظ:" و أما النّصبة فهي الحال الناطقة بغير اللفظ و المشيرة بغير اليد وذلك ظاهرٌ في خلق السماوات والأرض وفي كلّصامت وناطق وجامد ونام ومقيم وضاعن وزائد وناقص"[4]، ويقصد بها ها هنا تواصل الإنسان مع الكون وآياته، وقال:" فموضوع الجسم ونصبته دليل على ما فيه وداعية إليه ومنبهة عليه فالجماد الأبكم الأخرس من هذا الوجه قد شارك في البيان الإنسان الحي الناطق"[5].

---

[1]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيّن/ج1، ص80

[2]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه/ج1، ص80

[3]الراوي: أبو هريرة |المحدث : الألباني |المصدر : صحيح الجامع |الصفحة أو الرقم | 4192 : خلاصة حكم المحدث : صحيح |التخريج : أخرجه أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (22/4) واللفظ له، وأخرجه البخاري (3347)، ومسلم (2881) باختلاف يسير/ عن موقع الدرر السنية.

[4]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيّن/ج1، ص81

[5]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان/ج1، ص 35

المبحث الثاني: التواصل الإشاري

1.تعريف الإشارة:

1.1. لغة:جاء في لسان ابن منظور وتحت جدر:(ش.و.ر)، أشار إليه وشوّر، أومأ، يكون ذلك بالكف والعين والحاجب، أنشد ثعلبُ(من الطويل):

نُسرُّ الهوى إلا إشارة حاجب هناك و إلا أنْ تشير الأصابع.

وشوّر إليه بيده أيّ: أشار، وفي الحديث كان يشير في الصلاة أيّ: يومئ باليد و الرأس، أيّ: يأمر وينهى بالإشارة، والمشيرة هي: الإصبع.[1] وجاء في المعجم الوسيط: شار الشيءَ؛ عرضه ليبدي ما فيه من محاسن، وأشار إليه وبيده أو نحوها: أومأ إليه معبرا عن معنى من المعاني، كالدعوة إلى الدخول أو الخروج. و شوّر إليه بيده ونحوها. و استشار فلانٌ: لبس شارة: لباسا حسنا. و الإشارة: تعيين الشيء باليد ونحوها، والتلويح بشيء يفهم منه المراد، والشارة: الهيئة واللباس الحسن.[2]

ونتذكر في صدد الحديث عن الإشارة إشارة مريم وولدها –عليهما السلام– لما نذرت للرحمن صوما عن الكلام؛ فلم تكلم يومها إنسيا باللفظ، بل بلغة الجسد والإشارة، فكان منها بيان بلا لسان.[3]

ولسيغموند فرويد عبارة شهيرة تقول:" ذاك الذي تصمت شفتاه يثرثر بطرف أصابعه"[4].

---

[1] جمال الدين محمد بن منظور، لسان العرب، المجلد الرابع، ص505

[2] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص499

[3] مهدي أسعد عرار، البيان بلا لسان دراسة في لغة الجسد، دار الكتب العلمية/2007، ص16

[4] نتالي باكو، لغة الحركات، دار الجيل–بيروت/ط1، ص76

1.2. اصطلاحا: هي لغة الجسد، وهي أبرز مثال على التواصل غير اللفظي، وهي ترادف النطق في فهم المعنى، كما لو استأذنته في شيء؛ فأشار بيده أو رأسه أنْ يفعل أو ألّا يفعل؛ فيقوم مقام النطق[1]. ولابدّ للتواصل الإشاريّ من نظام استدلاليّ خاصّ حتى يتمكن من فهم المعاني؛ فإذا كان مدلول الإشارة مجهولا عند أحد طرفيّ التواصل؛ فإنّ عملية التواصل لن تتحقق على ما يجب .

وقد جاء تعريف الإشارة في معجم علم اللغة النظريّ بأنها: "حركه تعبيرية مجردة تصاحب الكلام أو تسدّ مسدّه، لها معنى معين لدى جماعة لغوية معينة وتتخذ هذه الحركة عدة أشكال لها ذات المعنى ولكنّها تتوزع في الموقف أو تتوزع توزعا حرا كما أنها قد تختلف من شخص لآخرَ اختلافا طفيفا"[2]. فالمعاني التي ينقلها الإنسان لا تحملها الالفاظ المنطوقة وحدها، بل تسهم فيها عوامل عديدة ومختلفة، ومن هذه العوامل الحركة الجسمية. فحركة الجسم ليست مسالة عضوية يستخدمها الإنسان كيفما اتفق، وإنما هي نظام يتعلمه الإنسان داخل مجموعة بشرية مثله ولها أنماطها الخاصة بالثقافة.[3] وتعتبر الحركة الجسمية ميدانا درس يصل اللغة بالمجتمع وعلومه، وأول من بدا بتأصيل منهج هذا الدرس هو العالم الانثروبولوجي " راي بيردوسلRay L.Birdwhistell" وقد أطلق عليه مصطلح " Kinesics" وقصد به أن يدرس استخدام الإنسان حركات جسمه في عملية التواصل عماما وفي دراسة اللغة على وجه الخصوص.[4]كما أن هذا الباب يدخل بنا في عِلْم العلامات (السيمياء) *Semiology* وهو العِلْم الذي يبحث في الإشارات والأنظمة الإشارية عامة

[1] أحمد بن محمد الفيومي المقري، المصباح المنير/ج2،،مكتبة لبنان-1987، ص125

[2] محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري،مكتبة لبنان/ط1991، ص145

[3] انظر، عبده الراجحي، اللغة وعلوم المجتمع، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط1-2013، ص37

[4] انظر، عبده الراجحي، المرجع نفسه، ص 37

2. أنواع الإشارة:

- **أولا حركات الجسد:** وتشمل الجوارح بأجزائها من يدٍ و كفّ وأصابعَ، حتى

حركات الرأس والرقبة والكتف والصدر والرجل والساق والقدم؛ فكلّها بأجزائها لها سلوك معين وتعطي دلالة معينة، وتعتبر حركات الرأس وتعبيرات الوجه من أوسع المجالات لتمثيل لغة الإشارة كما نجد فيها تعبيرات الوجه ولغة العيون وحركات الشفاه والخدين والحاجبين والجبين

وكل ما سبق ذكره من إشارات يمكن أن تؤدي وظائفَ عديدةً وتفضي إلى معانٍ مختلفة كالدلالة على الانبساط والفرح أو الشعور بالسأم والملل وحتى التعب والغضب والقلق، أو التلهف أو القبول أو الاعتراض أو التصديق والتكذيب.

- **ثانيا الوضع والوقفة:** ويقصد بها الهيئة في حال تغيّرها من صورة إلى صورة مع تغيّر موضوع الكلام أو حالة الخطاب، وغنى عن البيان أنّ الحركات الجسمية مما يجعل الجسم آخذا هيئه بعينها أو يسلك وضعا بدنيا خاصا وإذا كانت تلك الحركات في مجملها تتسم بالجزئية ومحدودية ما تنتجه من تغيّر بدني؛ فقد يدل انتصاب الجسد على الاعتزاز ويدل ارتخاء الكتفين على الانسحاب والعجز، ومثال ذلك قول الله تعالى في سورة الملك الآية 22:" أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى من يمشي على صراط مستقيم" ولكلّ إنسان سمات ووضعيات معينة في جسده يتمثلها ويستعين بها للتعبير عن حالة نفسيه ألمت به لا يمكن للغة أن تعبر عنها؛ فيرجع إلى وقفته وهيئته للتعبير كما لطريقة جلوس الفرد دور في الكشف عن نمط العلاقة بين المرسل والمتلقي، أو مستوى تأدب صاحب الجلسة مستمعا كان أو متكلما. وحرى بالإشارة هنا أن العرب قد نظروا إلى بعض الحركات على أنها حركات مستكرهة، لأنّ الهيئات الجسمية التي تنتج عنها تنافي ما تحبّ العين أن تقع عليه، ومن ذلك وضع اليد في الخاصرة؛ وهو ما يستقبحه العربيّ حتى اليوم، روي عن مسروق، عن عائشة –رضي الله

عنها- أنها كانت تكره أن يجعل يده في خاصرته وتقول أنّ اليهود تفعله[1]. وخفض الرأس وانحناءة الظهر مثلا- في موقف النفور والغضب- ليست علامات إذعان أو احترام حقيقيين، إنما التظاهر بهما على سبيل الهزء بالمخاطب.[2] وهنا نرى أن الوقفة أو الوضع قد قلبوا المعنى إلى نقيضه.

- **ثالثا المساحة الشخصية:** يُطلق عليها العلم الحديث مصطلح: "علم المسافة" إذ يرى بعض الباحثين أنّ الأفراد في المحادثات دائما ما يحافظون على مسافة بينهم وهذه المسافة يمكن أن تعطي دلالات مختلفة تخص صلة الأفراد المتحدثين مع بعضهم، قربا كانت أو بعدا؛ فتشكل هذه المسافة أحد أبعاد التواصل بين الناس ويندرج ضمن التواصل غير اللفظي؛ فقد قسمت إلى المسافة الحميمية: تلك التي تكون بين الأصدقاء والأقارب، وأوسع منها تلك التي نجدها بين المعارف من هم غير الأصدقاء والأقارب، ثم مسافة الغرباء والأجانب وهذه المسافة تختلف باختلاف المقامات والسياقات. كما أنها تخضع لاختلاف الثقافات والأجناس كما أن انتهاك هذه المسافة وسط العُرف المتفق عليه قد يكون مبعثا للإزعاج والمشاكل .
- **رابعا نبره الصوت ودرجته:** تعد الظواهر التطريزية من الصفات الصوتية التي لها دلالات ومعالم متنوعة تكسو المنطوقة وتكسبه دلالات مختلفة فهي أشبه بالسمات التطريزية التي تضاف إلى الثوب المخيط، وتكسبه جودة ودقة وحتى قيمة؛ فالنبر والتنغيم والوقف مثلا، قد تساعد على فهم نفسية المتحدث ونوعيه العلاقة بين المتحادثين فحدّة الصوت وخشونته حتى ليونته أو خفوته تشير إلى مزاج ونفسية وحتى إلى علاقة المتحدث بالسامع وتكون مصاحبة للفظ داعمة له موضحة خادمة له؛ فالمرسل يتلفظ بالخطاب بالتنغيم الذي تستتبعه دلالة الخطاب ويحرص على ذلك[3]. فالتنغيم الذي يغير

[1] محمد العبد، العبارة والإشارة، ص193

[2] محمد العبد، المرجع نفسه، ص112

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة/ط1-2004، ص320

منسوبه المتكلم إلى نغمة هادئة مثلا، ليدل بذلك على أنه قد دنا من تبليغه الاخير، وكما يستطيع التنغيم أن يقلب المعنى إلى النقيض.[1] وقد اطلق الدارسون على الصوت المصاحب للفظ مصطلح" اللغة الجانبية– Paralanguage"[2]

- **خامسا الهيئة الخارجية:** يقصد بها الحالة التي يكون عليها الشيء محسوسةكانت أو معقولة، لكن في المحسوس أكثر.[3] حيث يعبّر المظهر الخارجي عن جنس الشخص وعمره وموطنه ومركزه الاجتماعيّ ووظيفته، كما يميّزه بصفات جسمية كالصلع وبياض الشعر وتجاعيد الوجه ولون الجلد والعينين، وكلّ هذه العوامل تلعب دورا هاما في النظام العام للتواصل غير اللفظي، وتخلق استجابات إيجابية أو سلبية عند الآخرين، قد يكون المظهر الخارجي ثابتا مثل العمر والجنس والمركز الاجتماعي أو شبه ثابت مثل طول الشعر ودرجة الاهتمام بأناقة المظهر. وتكون أهمية الاتصال عبر المظهر في كونه أسرع وسيلة لأخذ انطباع عام واتخاذ موقف سريع وربما يكون مؤقتا أو يصبح دائما يترتب عليه السلوكات اللاحقة عندما نلتقي بشخص لأول وهلة وضمن حيز زمني محدود. غالبا ما لا يتسنى لنا التعرّف إلى فِكَره ومواقفه وعاداته وتقاليده ووضعه الاجتماعي والاقتصادي وعمره بالتحديد إلا من خلال المعلومات التي نجمعها سريعا من خلال رؤية مظهره العام وهذه الرؤية تُمدنا بانطباع النظرة الأولى الذي يستمد معلوماته من الملامح الجسدية للشخص والملابس التي يرتديها ومدى صحته الجسدية التي تظهر من هيئته وحيويته، وقد تشير إلى أصوله الإثنية والثقافية وكلّ هذه المعلومات يتم استقاؤها في الثواني

[1] محمد العبد، العبارة والإشارة، ص112

[2] انظر، عبده الراجحي، اللغة وعلوم المجتمع، ص 32

[3] محمد العبد، المرجع نفسه، ص 193

الأولى من اللقاء ومن هنا تكرست فكرة الحب أو الكره من أول نظرة التي لها ما يسندها إلى حدّ كبير من الشواهد العلمية[1].

3. وظائف الإشارة:

حدث العلماء والدارسون عن ثلاث وظائف للإشارة: الوظيفة الإخبارية والوظيفة التواصلية والوظيفة التفاعلية[2]، وأضاف آخرون الوظيفة الخطابية.

- **أولا الوظيفة الإخبارية:** في معجم الوسيط: يقال من أين خبرت هذا الأمر؟ ويقال: لأخبُرنّ خبرك؛لأعلمنّ علمك. و خبِر الشيء: علِمه، وأخبره بكذا: أنبأه.[3]

وتشمل الأفعال التي لها معنى مشترك لدى المتلقين دون أن يكون هناك تعمد وراء نقل هذا الفعل للمعلومات ومصطلح إخباري في هذا السياق يهتم فقط بعمليه التلقي، وإذا كان المعنى الذي يفهم من الفعل ذا طابع خصوصي أكثر منه مشترك لا يمكن اعتبار الفعل غير اللفظي إخباريا[4].

- **ثانيا الوظيفة التواصلية:** وتتضمن الأفعال التي يتعمد المرسل بكيفية واضحة وواعية أن ينقل

رسالة معينة للمتلقي و الأفعال التي تؤدي الوظيفة التواصلية حسب اصطلاح بعض الدارسين ترتبط بالمرسل وقد لا يكون لها معنى مشترك مما قد يؤدي إلى عدم فهمها من لدُن المتلقي.فقد اثبت اللغويون دور الإشارة الهام في في الاتصال، وكان منهم هاليداي الذي أقر بأهمية الدور الذي تؤديه الأنظمة

[1] محمد الأمين موسى أحمد، الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم، ص650
[2] محمد الأمين موسى أحمد، المرجع نفسه، ص90
[3] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 214
[4] محمد الامين موسى أحمد، المرجع نفسه، 90

الخارجة عن نطاق اللغة، كالحركة الجسمية. يقول سوونسكي مثلا:" من الممكن حقا أن تعرض سياقات دلالية كبرى في شكل إيمائي، بحيث تستغنى- بهذه الطريقة من المحاكى- عن اللغة اللفظية"[1].

- **ثالثا الوظيفة التفاعلية:** تشمل الأفعال غير اللفظية التي تصدر من شخص في وضع تفاعلي

فتؤثر في السلوك التفاعلي لشخص آخر وإذا كانالتأثير التفاعلي متبادلا بين المرسل والمتلقي يأخذ طابعا إخباريا تفاعليا، علما أنه ليس كلّ الأفعال الإخبارية تفاعلية. فقد تثير الحركات الجسمية وتعبيرات الوجه مشاركة وجدانية، تتبدى في ردّ فعل المشاهدين مثلا ضمن حدث تمثيلي درامي دون الحاجة إلى حوار كلامي، ويعرف هذا في الحياة المسرحية باسم:" التعبير بالوجه أو التقليد بالإشاراتmime"[2] أيّ الإشارة و الدلالة على الأحداث وردود الأفعال عن طريق حركة الجسم وحدها.

- **رابعا الوظيفة الخطابية:** يقول آبر كرومبي:" إننا نتكلم بأعضائنا الصوتية، ولكننا نتخاطب

بأجسامنا، فالخطاب يتكون من أكثر بكثير من المبادلة البسيطة لألفاظ منطوقة"[3] و يرى بعض الباحثين أن تأمل الخطاب صوتيا وتتبعه دون الرجوع فيه إلى الإشارات أو التلميحات يجعل محاولة تأسيس العلاقة بين المرسل والمستقبل عديمة الجدوى. ويتضمن هذا- في ذاته- تبريرا أو تأييدا للإقدام على علم السلوك الحركي الخطابي في مثل تلك المواقف الكلامية التي تصنع غالبة التفاعلات الخطابية[4].

4. الإشارة قبل الجاحظ: عرفت الإنسانية التواصل الإشاريّ منذ القدم ولطالما ربطوه بالأفعال

السلوكية الإنسانية، وقد عرفه العرب إذ قالوا: وأشار إليه بيده، إشارة، وشوّر تشويرا، لوّح بشيء يفهم من النطق، فالإشارة ترادف النطق في فهم المعنى. و فهم لغة الإشارة جعل عديدا من العلوم تتعاضد في

[1] محمد العبد، العبارة والإشارة، ص110
[2] محمد العبد، المرجع نفسه، ص 117
[3] محمد العبد، المرجع نفسه، ص 116
[4] محمد العبد، المرجع نفسه،ص 123

محاولة منها لفهم وخدمة النص القرآني من خلال الوقوف على الإشارة؛ فقد حاولوا الوقوف على آليات التواصل الحاصل بين المتخاطبين، وهي خلال ذلك تنظر في كلّ العناصر التي تسهم في إحداث عمليه التواصل، والاهتمام بفهم دلالة الإشارة كان ضمن فهم دلالات الكلام لاندراجها ضمنه.

1.4. الإشارة في القرآن الكريم: لقد اهتم علماء التفسير بالوقوف على معنى الإشارة بحسب ورود الألفاظ الدالة عليه في القرآن الكريم ومن ذلك قوله تعالى:" قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ"[1] فقد جاء عند القرطبيّ(ت671هـ):" إلا رمزا، الرمز في اللغة الإيماء بالشفتين، وقد يستعمل في الإيماء بالحاجبين والعينين واليدين، وأصله الحركة.وفي هذه الآية دليل على أنّ الإشارة تنزل منزلة الكلام"[2].وجاء في تفسير ابن كثير(ت774هـ) في الآية نفسها: إلّا رمزا: أيّ إشارة؛ لا تستطيع النطق مع أنك سويٌّ صحيح[3] من غير علّة وجاء في الآية 31 من سوره هود:" وَلَآ أَقُولُ لِلذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَنۡ يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ "[4] فهنا جاء التعبير عن الازدراء والاحتقار بالعين.

2.4. الإشارة في الحديث النبوي الشريف: كان لعلماء الحديث جهد كبير في تتبع مواضع الإشارة في سيرة رسولنا الكريم إذ حرصوا على نقل سيرته قولية كانت أو فعلية، وذلك بنقل أحاديثه بجميع التفاصيل المرافقة لها، حركات كانت أو ألفاظا أو ألفاظا وحركات معا، وقد كانت سنة نبينا زاخرة بالإشارات والحركات، ومثلها ملامح السرور والفرح التي كان يفهمها المحيطون به، عن كعب ابن مالك:" كان إذا سرّ استنار وجهه كأنّه قطعة قمر" وكلّنا نعرف حديث "كافل اليتيم" الذي أشار فيه رسول الله بالسبابة

[1] موقع سورة قرآن، المصحف الإليكتروني برواية ورش عن نافع، من الآية 41، سورة آل عمران.

[2] محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن/ج5، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط 12006م، ص123

[3] إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، دار ابن الحزم،ط 2000/1م، ص 364

[4] موقع سورة قرآن، المصحف الإليكتروني برواية ورش عن نافع، من الآية31، سورة هود

والوسطى وفرج بينهما شيئا للتعبير عن شدة القرب الحاصل بينه وبين كافل اليتيم في الجنة. وعن أبي هريرة– رضي الله عنه– أنّ رسول الله–صلى الله عليه وسلم– مرّ على صُبرة طعام" فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا"[1]، فالإشارة هنا كما وصفها أبو هريرة– رضي الله عنه– هي إدخال النبي لأصابع يده في صُبرة الطعام ليختبر صلاحه من فساده. وتأكيد لغة الإشارة أيضا من الحديث ما حكم به النبيّ– صلى الله عليه وسلم– من أمر السوداء حين قال لها:" أين الله؟"، فأشارت برأسها إلى السماء، فقال:" أعتقها فإنها مؤمنة." فأجاز الإسلام بالإشارة.[2]

3.4. **الإشارة في الشعر العربي:** لا يكاد يخلو ديوان شعر عربي من لغة الإشارات بمختلف أشكالها، ولعل إيماءة العين كانت من أكثرها فقد كانت تعبّر وهي حاسة لوحدها عن معان متعددة مختلفة وحتى متناقضة، وقد اتخذ الشعراء، لاسيما في غرض الغزل، لغة الإشارة بديلا عن الكلام في مخاطباتهم في حالات لا تناسبها العبارة؛ فيقول العباس بن الأحنف مثلا(من الطويل)[3]:

تحدث عنّا في الوجوه عيوننـــا ونحن سكوت والهوى يتكلم

ونغضب أحيانا ونرضى بطرفنا وذلك فيما بيننا ليس بعلّـم

إذا ما اتقينا رمقــة من مبلّـــغ فأعيننا عنا تجيب وتفهـــم

وقد كانت المرأة تأمن الإشارة باليد أو العين، وتجعل من ذلك رسائلها الموجهة إلى من يهمّه الأمر، تقول علية بنت الخليفة المهدي(بحر المتقارب)[4]:

صـــــــحائفنا إشـــارتنا وأكـــــثر رسُـلنا الحُـدق

---

[1] مسلم بن الحجاج النيسابوري، كتاب الإيمان من صحيح مسلم،ط1/2011م، ص48

[2] محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن/ج5، ص 124

[3] العباس بن الأحنف، الديوان، تحقيق: عاتكة الخزرجي، دار الكتب المصرية،1954م،(د،ط) ص243

[4] جلال الدين السيوطي، نزهة الجلساء في أشعار النساء، مكتبة القرآن،ص 70

لأنّ الكتـــب قـــد تُقـــرأ ولیـــس برسلنـــا نثـــق

ومن هذا كلّه نعلم أنّ العرب عرفت الإشارة في مختلف علومها وقد استعملتها كوسيلة من وسائل التواصل غير اللغوي.

5. الإشارة في الدرس اللساني الحديث:

ترجع أصول الفكر السيميائي المعاصر إلى اجتهاد عالمين اثنين، عاشا في مرحلة زمنية متقاربة، لكن كان بحث كلّ منهما مستقل عن الآخر استقلالا تامّا، جملة وتفصيلا. أولهما الأميريكي" بيرس-Pierce"، وثانيهما السويسريّ" ديسوسيير-DE.Saussure".[1]

1.5. سيمياء بيرس: كان "بيرس" رجل منطق وفلسفة، فاهتمّ بالإشارة اهتماما تأمليا ونظريا، واعتبر النشاط الإنسانيّ نشاطا سيميائيا في مختلف مناحيه وأوجهه، ورأى أنّ كلّ مظهر من مظاهر العالم حول الإنسان وخارج ذاته مظهر ،شاري؛ فقال:" إنّه لم يكن بإمكاني على الإطلاق أنْ أدرس أيّ شيء: الرياضيات، الاخلاق، الميتافيزيقا، الجاذبية، الدينيمكا الحرارية، البصر، الكيمياء، التشريح المقارن، الفلك، علم النفس، الصوتيات، الاقتصاد، تاريخ العلوم، الهويست:(ضرب من لعب الورق)، الرجال و النساء، النبيذ، علم المقاييس والموازين- إلا بوصفه دراسة سيميائية"[2] وقد حاول "بيرس" من وجهه نظر منطقية أن يكشف عن العلاقات الإشارية التي توحّد بين موضوعات هذه الاهتمامات المختلفة؛ فقسّم الإشارة إلى ثلاثة مستويات: الأيقون(Icone)، و العلامة(Indice) والرمز، وعرّف كلّ واحدة منها حين قال:"إنّني أعرّف الأيقون؛ بأنّه بمثابة إشارة محددةبموضوعها الدينامي بمقتضى العلامة الواقعية التي تربطها به،

[1] إدريس بلمليح، الرؤية البيانية عند الجاحظ، دار الثقافة- الدار البيضاء(المغرب)،ط1/1984، ص111

[2] أزوالد ديكرو/ جان ماري سشايفر، ترجمة منذر عياشي، المركز الثقافي العربي،(د.ط)ص194

وأعرّف الرمز بأنه بمثابة إشارة محددة بموضوعها الدينامي فقط بحسب المعنى الذي ستؤول إليه"[1] ومعنى هذا أنّ الإشارة تجريد يتوصل إليه الإنسان بعد الإحساس بالواقع أولا، ثم بعد خبرته حول هذا الواقع ثانيا، لكنّ الناظر إلى بحث "بيرس" يجده في أغلبه صادر عن اهتمام فلسفيّ أكثر منه محاولة علميّة دقيقة لفهم الإشارات، ودراستها باعتبارها نظاما ذا أنساق مضبوطة. وقد جعل فلسفته الإنسانية الإشارية مطلقة، لا نهائية حين قال:"إنّ الكلمة أو الإشارة التي يستعملها الإنسان هي الإنسان نفسه أو أنّ فكر الإنسان وانفعاله إشارة"[2]؛ فهو هنا لا يحدّ الإشارة بحيّزٍ معيّن و لا يضع مفهوما خاصا معينا لها أو لما يمكن اعتباره إشارة، وما لا يمكن اعتباره كذلك، وهذا ما جعل بحث "بيرس" يحوي ثغرات جعلت غيره يقوّمون آراءه؛ يقول "بينفينيست" في معرض ذلك:" أن يقبلَ الكونُ في منحى ما فرقًا بين الإشارة والمدلول، يجب إذن أن تؤخذ كلّ الإشارة و تُفهم ضمن نظام إشاريّ، وهنا يكمن شرط الدلالة" ومن هكذا ثغرات استمد بحث "دي سوسيير" السيميائي قيمته العلمية. لأنّه انطلق على عكس "بيرس" من ميدان مختلف؛ هو اللغة.

2.5. سيمياء دي سوسيير: إنّ أول ما فعله" دي سوسيير" هو تحديد موضوع بحثه تحديدا دقيقا، حيث جعل اهتمامه الأساسي منصبا على اللغة التي يتكلّمهاالإنسان، ثم أدرج هذه اللغة ضمن إطار عام. يمكن أنْ نُفهَم من خلاله؛ هو السيميولوجيا: وهي العلم الذي يدرس الإشارة في سياقها الاجتماعي؛ فخلص بذلك إلى أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية، يقول:" اللغة هي الجانب الاجتماعي للسان، تقع خارج الفرد الذي لا

[1] إدريس بلمليح، الرؤية البيانية عند الجاحظ، ص112

[2] إدريس بلمليح، المرجع نفسه، ص112

يستطيع أبدا أن يخلقها أو يحورها بمفرده، فلا وجود للغة إلا بنوع من الاتفاق يتوصل إليه أعضاء مجتمع معين"[1].

لقد حدد "دي سوسيير" الإشارة اللغوية وقسمها إلى دال ومدلول، وتبين اعتباطية العلاقة بين هذين الأخيرين؛ فدرس اللغة بحسب هذين المفهومين. في حين أن "بيرس" كان يحاول جاهدا التأسيس لنظرية عامة للإشارة، فقد كان ينظر إليها من زاوية رجل المنطق كما سبق الذكر. كان "دي سوسيير" يهتمّ بتحديد الوظيفة الاجتماعية لهذه الإشارة، ناظرا إليها من منظور عالم اللغة.يقول:" اللغة نظام من الإشارات–system of signs التي تعبّر عن الأفكار، ويمكن تشبيه هذا النظام بنظام الكتابة، أو الألفباء المستخدمة عند فاقدي السمع والنطق أو الطقوس الرمزية، أو الصيغ المهذبة أو العلامات العسكرية، أو غيرها من الأنظمة، ولكنه أهمها جميعا، ويمكننا أن نتصور علما موضوعه دراسة حياة الإشارات في المجتمع... وسأطلق عليه علم الإشاراتSemiology"[2]. وقد اعتبر "دي سوسيير" اللسانيات جزءا من علم الإشارات.

لقد كان "بيرس" و "دي سوسيير" يمثلان مرحلة التأسيس الأولى للبحث السيميائي الحديث، حتى جاء " رولان بارت".

3.4. سيمياء بارت: اعتبره بعض الباحثين مؤسسا للسيمياء المعاصرة في شكلها العلمي الناضج، خاصة بمقالته:" عناصر السيمياء"[3]، كما جاء بمصطلح:" سيمياء الدلالة". ورغم أن "بارت" كان متأثرا بنظرية "دي سوسيير" حول علاقة اللسانيات بالسيميولوجيا باعتبار الأولى جزءا من الثانية، إلا انه أتى بأطروحة جديدة بخصوص هذه العلاقة، معتبرا أن اللسانيات مركزية بذاتها ولا يمكن أن تكون جزء من السيميائيات

[1] فريدينان دي سوسيير، علم اللغة العام، ترجمة: د.يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية،1985، ص33

[2] فريدينان دي سوسيير، علم اللغة العام، ص34

[3] إدريس بلمليح، الرؤية البيانية للجاحظ، ص116

باعتبارها شاملة تحتضن عددا كبيرا من المجالات، واعتبر بذلك عكس ما رآه "دي سوسيير"، اعتبر أن السيمياء جزء من اللسانيات لأنها لا يمكن أن تكون مجالا مستقلا بذاته، كما لا يمكن فصلها عن علم اللغة[1]. و الإشارة عند "بارت" هي أنظمة تواصل ذات بعد اجتماعي عميق، فهو يعتبر اللباس أو الطبخ لغة تدل على قيم اجتماعية مختلفة. يقول:" إنّه بمجرد أن يكون مجتمع، فإنّ كلّ استعمال يتحول إلى إشارة لهذا الاستعمال"[2]. فسيمياء "بارت" هنا تعنى بدراسة العلامات أو الإشارات من خلال دلالتها دون الاهتمام بكونها حققت الوظيفة التواصلية أم لم تفعل.

[1]ينظر في، الرؤية البيانية للجاحظ، إدريس بلمليح.

[2]إدريس بلمليح، المرجع نفسه، ص118

الفصل الثاني:
التواصل الإشاري من خلال البيان والتبيّن و تطبيقاته.

المبحث الأول: الإشارة في بيان الجاحظ

1. الإشارة من منظور الجاحظ: لا يختلف اثنان على أن الجاحظ هو أول من لفت الأنظار إلى هذا النوع من التواصل في التراث العربي، ووضع أسسه وبيّن حدوده في "البيان والتبيّن" حين قال:"وجميع أصناف الدلالات على المعالم اللفظ وغير اللفظ خمسة أشياءَ لا تنقص ولا تزيد أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال التي تسمى نِصبة"[1] وقد رتبها هنا بحسب صلتها بالحواس فكان منها ما هو للسامع كاللفظ، وما هو للناظر كالإشارة،ومنها ما يشترك في إدراكه حاستان كالعقد فهو للناظر واللامس[2]، كما أكد على وجوب تضافر هذه الوسائل لبلوغ غايةالبيان:"وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان"[3]. يتحدث الجاحظ مطولا عن الإشارة التي تتجسد من خلالها لغة الجسد؛ فتكون وسيله للتواصل دون اللسان فيقول:" فأما الإشارة فباليد والرأس وبالعين والحاجب والمنكب إذا تباعد الشخصان، وبالثوب والسيف وقد يتهدد رافع السيف والسوط فيكون ذلك زاجرا ومانعا رادعا، ويكون وعيدا وتحذيرا"[4].

ومن ذلك نرى أنّ الجاحظ قد أورد لنا أعضاء الحركة الجسمية، من الجوارح وهي اليد والرأس والعين والحاجب والمنكب، أو من غير الجوارح كالثوب والسيف، وهذا دليل على أنّ لغة الجسد لا تقتصر على الجوارح بل تشمل أجزاء أخرى مصاحبة لجسد الإنسان وكما أنّ للفظ رموز متعارف عليها بين المتواصلين فكذلك للجسد رموزه المفهومة والمتعارف عليها؛ كحركة الإيجاب بهزّ الرأس عموديا، وحركة

---

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيّن/ج1،ص 76

[2] ينظر، حمادي صمو، التفكير البلاغي عند العرب؛أسسه وتطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية،1981، ص161

[3] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص76

[4] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص77

النفي بتحريكه أفقيا. وقد استشعر الجاحظ في "البيان والتبيّن" أنّ للجسد لغة صامتة تضاف إلى اللغة الصائتة[1]، وقد وقف على لغة الجسد دارسا مدققا.

2. أهمية الإشارة عند الجاحظ:

من خلال ترتيب الجاحظ لأساليب البيان، كانت رتبة الإشارة مباشرة بعد اللفظ، بحيث تصدرت العلامات غير اللفظية من خطّ و عقد و نِصبة. وهذه المرتبة للإشارة جعلتها مؤهلة لأن تكون أكثر العلامات غير اللفظية في تحقيق الدلالة والتعبير عن المعاني الكامنة في النفس.

ولقد أشرنا سابقا أنّه إذا كان اللفظ هو الأساس في تحقيق الاتصال اللفظي؛ فإنّ الإشارة التي تحدّث عنها الجاحظ في بيانه تأخذ نفس وظيفة اللفظ في الجهة المقابلة عند الاتصال غير اللفظي؛ فهي تشمل جميع أشكال السلوك الجسدي والتعبير الحركي. ويرى الجاحظ أنّ قدرة الإشارة في الاستقلالية بذاتها عن اللفظ و شموليتها لباقي أصناف البيان، ثمّ فائدتها في التعبير عن مجمل الكلام بلا لفظ وقدرتها على مساندة اللفظ ودعمه؛ جعلها ذات أهمية كبيرة في تحقيق التواصل والتبليغ، وحتى التفاعل والتأثير و الإقناع. كما أنها وسيلة لاختصار مجمل القول، إفصاحا وإفهاما، يقول الجاحظ:" وربّ قليل يُغني عن الكثير، كما أنْ ربّ كثيرٍ لا يتعلق به صاحب القليل. بل ربّ كلمة تُغني عن خطبة، وتنوب عن رسالة. بل ربّ كناية تربى عن إفصاح، ولحظٍ يدل على ضمير"[2].

كما استدل الجاحظ بتعريف ابن المقفع للبلاغة حتى يزيد من قوة دلالة الإشارة وفائدتها في تبليغ الرسالة وتحقيق البيان، فذكر أنّه لم يفسر البلاغة أحد قط كما فسرها ابن المقفع عندما سئل: ما البلاغة؟ فقال: البلاغة اسم جامع لمعان تجرى في وجوه كثيرة.فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في

[1] ينظر، مهدي أسعد عرار، البيان بلا لسان، ص77

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيّن/ج2، ص 7

الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جواباً، ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون شعراً، ومنها ما يكون سجعا وخطبا، ومنها ما يكونرسائل. فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها، والإشارة إلى المعنى، والإيجاز هو البلاغة..."[1]

3. أصناف الإشارة عند الجاحظ:

صنف الجاحظ الإشارة من خلال دلالتها إلى ثلاثة أصناف: إشارة مصاحبة للفظ، وإشارة غير مصاحبة للفظ، والإشارة السرية أو الخفية.[2]

- **أولا الإشارة المصاحبة للفظ:** يقول الجاحظ:" ومن شأن المتكلمين أنْ يشيروا بأيديهم وأعناقهم

وحواجبهم"[3] وهو هنا يؤكد على أن المتكلم باللسان ناطقا لابدّ له أن يدعم لفظه بحركات جسدية لبلوغ غاية الإفهام، فتكون بذلك الإشارة الجسدية مرافقة للفظ داعمة له، قال فيها الجاحظ:" والإشارة واللفظ شريكان ونِعمالعون هي له ونِعم التُّرجمانهي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ"[4] هذا يعني أن الإشارة الجسدية تلك المصاحبة لعملية التلفظ تساعده على التبليغ، قد جعلها الجاحظ نائبة عن اللفظ وتابعه له غير مستقلة بنفسها عنه، حتى أنّه جعلها مقياسا من المقاييس البلاغية المساهمة في نجاح عمليه التخاطب والتواصل؛ فقال:" ثم إن حسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان"[5] وقد حظيَت تلكم الإشارة المصاحبة للفظ باهتمام كبير من الجاحظ باعتبارها جزءا من بلاغة الخطابة العربية من جهة، ولكونها هدفا لمطاعن الشعوبية، لاتصالها بنسق الحياة البدوية العربية من جهة أخرى، وفي هذا

---

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه/ج1، ص 115

[2] يُنظر، محمد الصالح بوضياف، مقال بحثي: لغة الجسد في التراث البلاغي،كتاب البيان والتبيين للجاحظ نموذجا،

[3] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان و التبيّن/ج3، ص116

[4] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان و التبيّن/ج1، ص78

[5] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص79

المستوى يندمج حديثه عن صفات الخطيب وهيئته وتقاليد العرب في الخطابة[1]؛ كالاتكاء على العصا، وقال:" فإذا أشاروا بالعصيّ فكأنهم قد وصلوا بأيديهم أيديا أُخَرَ"[2]

حتى أنّه قدّم الإشارة على الصوت في عديد المواضع؛ فقال:" هذا ومبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت فهذا باب تتقدم فيه الإشارة الصوت"[3].وجعلها تارة أحد شروط تحقق البلاغة، قيل للهندي:" ما البلاغة؟" قال:" وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة"[4] يقول فالإشارة بالنسبة للجاحظ ترافق اللفظ وتشترك معه وتدعم دلالته فتكون بذلك لتأكيد الكلام و زيادة توضيحه، وتُظهر فعالية أكثر بمصاحبتها لأفعال الكلام ذلك أنّ الرسائل اللفظية ربما لا يمكن إدراكها بشكل عميق إلا من خلال الدلالات غير اللفظية المصاحبة لها في الحدث التواصلي في كثير من الأحيان، يقول:" والقلم مكتف بنفسه، لا يحتاج إلى ما عند غيره، ولا بدّ لبيان اللسان من أمور: منها إشارة اليد، ولولا الإشارة لما فهموا عنك"[5]

- **ثانيا الإشارة غير المصاحبة للفظ:** قال:" وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط"[6] فهي

إضافة لكونها شريكة اللفظ في عملية الإفهام والبيان، قد تكون دالة على المعنى بذاتها فتغنينا عن اللفظ ويمكنها أنْ تصنع بمفردها حدثا اتصاليا؛ فهي ليست نظاما تواصليا ثانيا تابعا،"بل هي في ذاتها نظام خاص ذو جهاز منفصل عن جهاز النطق"[7]، وانفصالها هذا نابع أصلا من أنّ وحداتها المكونة التي هي هي الحركات المختلفة ليست من نفس المادةالتي تتكون منها وحدات الكلام الأخيرة صوتية وسمعية، في

---

[1]ينظر، محمد العمري، البلاغة العربية؛أصولها وامتداداتها، ص206

[2]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه/ج3، ص 116

[3]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه/ج1، ص79

[4]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه/ج1، ص88

[5]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان/ج1، ص 50

[6]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيّن/ج1، ص78

[7]إدريس بلمليح، الرؤية البيانية عند الجاحظ، ص 127

حين أنّ الأولى حركية وتدرك بالعين لا بالأذن، يقول:" وقد يراك الأخرس من الناس و الأخرس أصمّ؛ فيعرف ما تقول بما يرى من صورة حركتك كما يعرف معانيك من إشارتك."[1]

إنّ هذا النظام الإشاري الخاص يصطلح عليه أفراد المجموعة الإنسانية كي يعبروا عن مقاصدهم،فكما أنّ للغة أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم؛ فهي كذلك إشارات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم كذلك، وهم في حالة مواضعة كثيرا ما تكون تلقائية طبيعية ذات وحدات مكونة مستقلة عن غيرها من الوحدات غير الحركية؛ فهي نسق تركيبي يتميز بتشكل الصور المرئية في حيّز الفضاء[2]؛ فإذا كان للكلام جهازا نطقيا، فإنّ للإشارة جهازا حركيا تصدر عنه صورها المختلفة التي يمكن أنْ تقارن بالصور الصوتية الصادرة عن جهاز النطق.

- **ثالثا: الإشارة السريّة أو الخفية:** هي تلك التي تكون عند تبادل رسالة بين اثنين دون إفشائهما، يقول الجاحظ فيها:" ففي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مَرفَق كبير، ومعونة حاضرة في أمور يسترها بعض الناس من بعض، ويخفونها منالجليس وغير الجليس، ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا الباب البتّة."[3] وهذه مزية للإشارة لا يعرفها اللفظ، فبما أنّها قناة بصرية بصرية فهي تمكن من قصر المشاركة في الاتصال والتبليغ مع من تريد من إمكان الستر والخفاء.

وقد قال الشاعر في دلالات الإشارة(بحر الطويل):

أشارت إلى بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعــور ولم تتكلّـــــم

[11]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان/ج4، ص401

[2]ينظر، إدريس بلمليح، المرجع نفسه، ص 124

[3]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص 78

فأيقنت انّ الطرف قد قال مرحبـــا وأهلا وسهلا بالحبيب المتيـــم[1]

وقال آخر(بحر الطويل):

شكى بعضنا لما التقينا تستّرا بأبصارنا ما في النفوس إلى بعـض

إذا غفلوا عنا نطقنا بأعيـــن مِراضٍ و إنْ خفنا نظرنا إلى الأرض[2]

وغيرها من أبيات الشعر التي تؤكد أن الناس قد استخدمت الإشارة بديلا للفظ و للإشارة الصريحة للتعبير عن مكنونات الأنفس.

المبحث الثاني: تطبيقات التواصل بالإشارة من كتاب البيان والتبيين وبلاغتها

جاء في البيان:ثم رجع بنا القول إلى ذكر الإشارة، وروى أبو شَمر عن معمر أبي الأشعث خلاف القول الأول في الإشارة و الحركة عند الخطبة، وعند منازعة الرجال ومناقلة الأكْفاء. وكان أبو شمر إذا نازع لم يحرك يديه ولا منكبيه، ولم يقلب عينيه ولم يحرك رأسه، حتى كأن كلامه إنما يخرج من صدع صخرة. وكان يقضي على صاحب الإشارة بالافتقار إلى ذلك، وبالعجز عن بلوغ إرادته، وكان يقول: ليس من حق المنطق أن تستعين عليه بغيره. حتى كلّمه إبراهيم بن سيار النظام عند أيوب بن جعفر؛ فاضطره بالحجة وبالزيادة في المسألة، حتى حرك يديه وحلّ حبوته، وحبا إليه حتى أخذ بيديه."[3] و الجاحظ إذ روى لنا هذا الموقف إنما أراد به أن يؤكد على أهمية الحركات الجسدية في بلوغ الإفهام وتحقيق بلاغة الخطابة التي كان يرمي إليها المتحدثون منذ القدم، وقال في ذات الصدد:" وأيّة جارحة منعتها الحركة ولم تمرنها

[1]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص 78

[2]أبو الطاهر إسماعيل بن أحمد، المختار من شعر بشار، تحقيق: محمد بدر الدين العلوي، مطبعة الاعتماد، ص 62

[3] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ج1، ص 91

على الاعتمال أصابها من التعقيد على حسب ذلك المنع"[1] وهو هنا يؤكد على ضرورة تحريك الجوارح بما فيها اللسان.

1. التواصل بحركات الجسد:

1.1. **التواصل بالعين:** فطن الجاحظ إلى أهمية الدور الذي تقوم به حركات العيون في تغذية المتواصلين بطريقة فاعلة فقال على لسان أبو شمر الغساني:" أقبل على فلان باللحظ واللفظ..."[2]، وقد أكد الجاحظ ذلك في أكثر من موضع ومما نقله الجاحظ عن أبي عباد لتعزيز رؤيته لأهمية التواصل البصري قوله: «إذا أنكر القائل عَيْنيْ اَلْمُسْتَمِع؛ فليستفهمه عَنْ مُنْتَهى حَدِيثه وَعَن اَلسَّبَب اَلذِي أَجْرى ذَلِكَ اَلْقَوْل لَهُ."[3] فالعين عنده وعند من كانوا يستعينون بها لإيصال مرادهم والتعبير عن أفكارهم لغة صامتة ذات معان عميقة لا يتوصل إليها إلا من كانت له البصيرة النافذة في قراءة وفهم لغة العيون. يقول في معرض ذلك: «قال سعيد بن سلم لأمير المؤمنين المأمون:" لو لم أشكر الله إلا على حسن أبلاني في أمير المؤمنين من قصده إلى بحديثه، وإشارته إلى بطرفه، لقد كان ذلك من أعظم ما تفرضه الشريعة وتوجبه الحرية"[4] فقد عبر سعيد بن سلم والذي كان من كبار علماء الكلام في العصر العباسي عن شكره للمأمون عندما أظهر له الاهتمام والتقدير من خلال النظر إليه.

كما أورد الجاحظ في بيانه أمثلة عديدة ومتنوعة عن التواصل بالعين،إذ رأى أنّ العين على رأس أعضاء الجسم الأخرى تُغني صاحبها عن العبارة؛ فهي تحقق غاية الإفهام، ولولاها كما قال لما عرف

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ج1،ص273

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ،ص 400

[3] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ج2، ص 41

[4]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص40

الناس معنى:" خاص الخاص"[1]، ومن الأمثلة التي كانت في " البيان والتبيين" عن التواصل بالعين ما يلي:

قول الشاعر(بحر الهزج):

وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

وفي الناس من الناس مقاييس وأشباه

وفي العين غنى للمر ء أن تنطق أفواه[2]

فحسب قائل الأبيات، العين هنا هي جهاز يكشف لك من أمامك؛ فنظرات عيونه قد تنبئ عما يخفيه ومالا يردي البوح به، بتحريكها يمينا ويسارا أو أعلى وأسفل. إذ أنك إذا نظرت وكنت بصيرا سوف ترى في عين من أمامك الشرّ إن كان شرا والخير إن كان خيرا، أو الصدق إن كان صدقا والكذب إن كان كذبا. وربما تجد من يتملقك بالسلام والكلام إلا أن عينيه تنطقان بما هو عكس ذلك. جاء في "البيان و التبيين" قول الشاعر(بحر البسيط):

العين تبدي الذي في نفس صاحبها من المحبة أو بغض إذا كانـــــا

والعين تنطق والأفواه صامتـــــــــــة حتى ترى من ضمير القلب تبيانا[3]

كما قد تنوب العين بوظيفتها التواصلية عن اللفظ والعبارة بالتعبير عما يختلج النفس من مشاعر البغض و نية الشرّ، يقول الشاعر(بحر الطويل):

---

[1]أنظر: الجاحظ، البيان والتبيين/ج1، ص 78

[2]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ ج1، ص78

[3]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص 79

تبين لك العينان ماهو كاتم .... من الشر والبغضاء بالنظر الشزر[1]

وتنوب عنه أيضا في التعبير عن الترحيب وإفشاء السلام، وقد استدل الجاحظ على ذلك بقول عمر بن أبي ربيعة(بحر الطويل):

أشارت عليّ بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعور ولم تتكلـــــم

فأيقنت أنّ الطرف قد قال مرحـــــبا وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم[2]

وهذا المثال أورده الجاحظ لبيان قصده حين ذكر:" معنى خاص الخاص"؛ فلغة العين أبلغ إذا ما أراد المرسل تجنب الحضور وتفادي الحرج.

وقد ذكر الجاحظ في أكثر من موضع أن الإشارة ضرب من الإيجاز الممدوح واستدل على ذلك بقول أبي دؤاد بن حريز الإيادي مادحا الكلام الموجز والإشارة(بحر الطويل):

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء [3]

وقد أورد الجاحظ كذلك ما يستدل به على أن العين وحركاتها قد تدل على الكبر بقول أحدهم(بحر الطويل):

اسمع أنبئك بآيات الكبـــر نوم العشاء وسعال بالسحـر

وقلة النوم إذا الليل اعتكـــر وقلة الطعم إذا الزاد حضـــر

وسرعة الطرف وتحميج النظر وتركى الحسناء في قبل الطهر

[1]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ج4، 66

[2]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص 78

[3]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص155

2.1. **التواصل بالرأس:** يعد الرأس قمة الجسد، وجامع الحواس الخمس، وقد كان لحركاته ظهور في بيان الجاحظ ضمن حديثه عن بلاغة الإشارة الجسدية في تحقيق عملية التواصل وبلوغ غاية الإفهام، يقول:" وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان"[1] فالرأس ها هنا يمثل جزء هاما في عملية التواصل إذ يشتمل على القدرة الكافية لنقل رسالة المرسل. ويؤكد الجاحظ ذلك بقوله:" والمتكلم قد يشير برأسه ويده على أقسام كلامه وتقطيعه... ولو قبضت يده ومنع حركة رأسه لذهب ثلثا كلامه"[2] حتى أن الجاحظ في عديد من المواضع اعتبر الرأس علامة على شخصية المرء وفكره واستدل على ذلك بقوله:" ومن تمام آلة السؤدد أن يكون السيد ثقيل السمع، عظيم الرأس"[3] وأردف يقول على لسان ابن سنان الجذيدي مخاطبا راشد بن سلمة الهذلي:" ماأنت بعظيم الرأس فتكون سيدا..."[4]. كما أن لتحريك الرأس دلالات عديدة تختلف باختلاف السياق أو المقام فقد يدل على الدهشة والذهول وضرب لنا الجاحظ مثلا عندما روى لنا موقف أبي بكر –رحمه الله– عندما خطب بالناس فقال في بدايتها:" ألا إنّ أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك" فرفع الناس رؤوسهم، وكان ذلك دلالة على التعجب والذهول. كما يدل تحريك الرأس أو الإعراض به على الرفض وعدم القبول وحتى على عدم الاهتمام، قال:" قدم آخر على صاحب له من فارس، فقال: قد كنت عند أمير المؤمنين، فأيّ شيء ولّاك؟ قال ولاني قفاه"[5]. وروى الجاحظ مواقف أخرى لحركة الرأس بإطراقه كإشارة على الحيرة والتساؤل والتفكير مليا وحتى الحزن أو الغضب، ومنها موقف المنصور قبل قتله لأبي مسلم الخراساني، قال:" فأطرق المنصور مليّا ثم رفع رأسه وهو يقول(بحر الطويل):

---

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص 79

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ج3، ص119

[3] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ج1، ص94

[4] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص94

[5] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ج4،ص 6

لذي حلم قبل اليوم ما تقرع العصا وما علّم الإنسان إلا ليعـــــلما .

3.1. **التواصل بتعابير الوجه:** ولما كان الوجه أول ما يستقبلك من الطرف الآخر وربما كان أشرف ما في ظاهر البدن؛ فهو الحامل لحواس صاحبه وبعض جوارحه، ولطالما عبّر عن مكنونات نفسه ودواخلها، فللوجه وتعبيراته دلالات كثيرة ومختلفة وقد تدل حركة تعبيرية واحدة منه على متناقضات شتى كالفرح والانبساط أو الضجر والشعور بالسأم و الملل أو التعب من المتحدث، أو القلق بشأن ما يسمعه، أو التلهف للحديث، أو قبول ما يقال أو رفضه، والتصديق أو عدمه، والجاحظ تناول في بيانه موضوع تعابير الوجه ودلالاتها المتنوعة، يقول:" ولأنّ العرب تجعل الحديث والبسط والتأنيس والتلقي بالبشر من حقوق القرى ومن تمام الإكرام" وهو هاهنا يؤكد على أن إكرام الضيف والفرح بنزوله علينا لا يقتصر على ما يحضر له ويوضع أمامه من مأكل ومشرب كثير طيب ولا بكلمات الترحاب المنمقة وإنما قد تكون أبلغ من ذلك طلاقة الوجه وبسطه وظهور البشر عليه واستشهد على ذلك بقول الطائي(بحر الطويل):

سَلِي الجائعَ الغَرثَانَ يا أمّ مُنْذِرِ ... إذا ما أتاني بين ناري ومَجْزَرِي

هَل ابسُطُ وجهي أَنّه أوّلُ القِرَى ... وأبذلُ معروفي له دون مُنكَرِي[1]

ثم أورد بيتا لشاعر آخر يقول فيه(بحر الطويل):

أضاحـــك ضيفي قبل إنزال رحلـــه ... ويخصب عندي والمحل جديب

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ... ولكنما وجــه الكريم خصيـب [2]

فقد يرحب بك صاحب المنزل بالكلام الحسن ويكرمك بطيب المأكل والمقعد ثم تنظر في تعابير وجهه فإذا هي تقول عكس ما قالت الالسن.

---

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ج1، ص10

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص11

وإنّ من دلالات تعابير الوجه كما سبق الذكر رض الأمر وإنكاره وصاحبه، وقد ضرب لنا الجاحظ مثلا عنه في البيان حين قال:"ودخل رجل على أبي جعفر، فقال له: اتق الله، فأنكر وجهه، فقال: يا أمير المؤمنين، عليكم نزَلتْ، ولكم قيلت، وإليكم رُدت"[1]. كما أورد قولا لسيدنا عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- يستعمل فيه الوجه كدلالة على عدم الاهتمام أو عدم القبول والرضى، قال:"إذا توجه أحدكم في وجهٍ ثلاث مرات؛ فلم يصب خيرا فليدعه"[2]. فهو هنا كأنه يفضي إلى أنّ الوجه قد يكون مصدرا للخير أو عكسه.

ومن تعبيرات حركات الوجه ما يدل على الازدراء والاحتقار، فالإعراض بالوجه قد يعبر به صاحبه عن عدم إعجابه لما ظهر أمامه من أمر فلم يهتم به، يقول الشاعر متحسرا على شبابه(بحر الطويل):

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي ... فأعرضن عني بالخدود النواضر

وكنّ إذا أبصرنني أو سمعن بـــي ... سعين فرقعن الكوى بالمحاجــر[3]

ثم أورد بيتا آخر لأعرابي في ذات الصدد يقول فيه(بحر الطويل):

تعيّرني الإعدام والوجه معرض ... وسيفي بأموال التجار زعيـــــم[4]

وقال أوس بن حجر(بحر الطويل):

إذا استقبلته الشمس صد بوجهه ... كما صد عن نار المهوّل حالف[5]

وهنا الصد بالوجه إشارة إلى تفادي الأذى من شيء ما.

---

[1]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ج2، ص99

[2]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ج2، ص 101

[3]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ج2، ص182

[4]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ج4، ص67

[5]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ج3، ص7

إضافة إلى كل هذا فقد كانت الألوان إحدى وسائل الدلالة على تعبيرات الوجه، فترانا نعبر عن الخجل باللون الأحمر مرفوقا بإطراق الرأس، ونعبر باللون الأصفر وجحوظ العينين على الهلع أو الفزع المفاجئ، وبشدة ابيضاض الوجه وشحوبه على المرض والضعف الصحي، والجاحظ تفطن لذلك في البيان والتبيين فضرب لنا مثلا، قال علي الأسواري:" فلما رأيته اصفر وجهي حتى صار كأنه الكشوت"[1]

ولبعض أجزاء الوجه دلالة أيضا عند تحريكها، يقول الجاحظ:" ومن شأن المتكلمين أن يشيروا بأيديهم وأعناقهم وحواجبهم..."[2] هنا الجاحظ ذكر الحاجب كجزء من الوجه وإذا قسنا عليه فحركة الشفاه فالابتسام ومدى مد الشفاه في الضحك وقبضة جلدة الوجه وطريقة الالتفات وغيرها. استشهد الجاحظ في هذا المقام بقول بعض الشعراء(بحر الطويل):

وكنت جليس قعقاع بن شور ... ولا يشقى بقعقاع جليس

ضحوك السنّ إن نطقوا بخير ... وعند الشر مطراق عبوس

والمعلوم أن إظهار الأسنان علامة على الضحك والضحك إشارة على الانبساط والسرور بالخير، أما الإطراق فيكون بالتوجه بالرأس إلى الأسفل ناحية القدمين والعبوس يكون بضم الشفاه وتقطيب الحاجبين إشارة إلى عدم الرضى.

وذكر قول بعضهم في البرامكة(بحر الطويل):

إذا ذكر الشرك في مجلس ..... أنارت وجوه بني برمك

وإذا تليت عندهم آيـــة ..... أتوا بالأحاديث عن مروك

[1]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ج4، ص11

[2]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ج3، ص116

وهنا دلالة على أنّ تعابير وجه الإنسان قد تشير إلى درجة إيمانه وحقيقة كفره. وكانت تعابير الوجه كالضحك مثلا مخبر لنا عن شخصية صاحبه؛ قال عمر للأحنف:" من كثر ضحكه قلّت هيبته"[1] فالوجه عند الجاحظ بما أورده من أمثلة عديدة متنوعة جانب مميز في جسم الإنسان فهو الذي يحوي قنوات الاتصال الأكثر أهمية من بصر ولسان و أذن استماع على غرار أجزائه الأخرى التي يستعان بها في حالة التواصل غير اللفظي.

4.1. **التواصل بتحريك اليد:**يقول الجاحظ في كتاب الحيوان مبرزا لنا أهمية اليد ودور حركاتها وإيماءاتها في التبليغ، وابتدأ بذلك ربط القلم ممثلا للخط باليد وتبيان مركزهما من منزلة اللسان:" فاللسان الآن إنما هو في منافع اليد، والمرافق التي فيها والحاجات التي تبلغها"[2] فهو يعتبر منافع اللسان مثل منافع اليد في الحضرة، بمعنى أن فعل اللسان الصوتي الآني يقابل أفعالاً عديدة تقوم بها اليد، ويحتاج الإنسان إلى منافعها الآنية ويمثل على ذلك بالمنفعة الحاصلة من استعمال اليد في الإشارة، ثم طفق الجاحظ يبين لنا فضل اليد في التواصل الإشاري يقول:" فمن ذلك حظها وقسطها من منافع الإشارة ، ثم نصيبها في تقويم القلم ، ثم حظهافي التصوير ، ثم حظها في الصناعات ، ثم حظها في العقد ، ثم حظها في الدفع عن النفس ، ثم حظها في إيصال الطعام والشراب إلى الفم ، ثم التوضؤ والامتساح ثم انتقاد الدنانير والدراهم ولبس الثياب، وفي الدفع عن النفس، وأَصْنافِ الرَّمي، وأصناف الضرب، وأصناف الطعن، ثم النقر بالعود وتحريك الوتر، ولولا ذلك لبطل الضرب كله أو عامته، وكيف لا يكون ذلك كذلك ولها ضرب الطبل والدف، وتحريك الصفاقتين، وتحريك مخارق خروق المزامير، وما في ذلك من الإطلاق والحبس. ولو لم يكن في اليد إلا إمساك العنان والزمام و الخطام ، لكان منأعظم الحظوظ."[3]ثم قال في فضل اليد:"

[1]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان/ج2، ص188

[2]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان/ج1، ص 49

[3]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص 49

ولذلك زعمت الأوائل أنّ الإنسان إنما قيل له العالم الصغير سليل العالم الكبير لأنه يصور بيديه كل صورة"[1].

يقول الجاحظ: "ومن شأن المتكلمين أن يشيروا بأيديهم"[2] ثم أردف:" والمتكلم قد يشير برأسه ويده على أقسام كلامه وتقطيعه"،" ... ولو قبضت يده لذهب ثلثا كلامه"[3]. ولكن أبا شمر روى خلاف القول الأول في الإشارة والحركة عند الخطبة وعند منازعة الرجال ومناقلة الأكفاء." وكان أبو شمر إذا نازع لم يحرك يديه ولا منكبيه، ولم يقلّب عينيه ولم يحرك رأسه، حتى كأن كلامه إنما يخرج من صدع صخرة. وكان يقضي على صاحب الإشارة بالافتقار إلى ذلك، وبالعجز عن بلوغ إرادته. وكان يقول: ليس من حق المنطق أن تستعين عليه بغيره، حتى كلمه إبراهيم بن سيار النظام عند أيوب بن جعفر، فاضطره بالحجة و بالزيادة في المسألة، حتى حرّك يديه، وحلّ حُبوته، وحبا إليه حتى أخذ بيديه"[4]فقد كان تحريك اليد علامة على بلاغةالخطباء في خطبهم.

كما قد يستعان باليد لتعيين مواضع الأماكن والاتجاهات، واستشهد في معرض ذلك بخطبة مصعب بن الزبير عندما تلا قول الله عز وجلّ:" طَسٓمٓ تِلْكَ ءَايٰتُ ٱلْكِتٰبِ ٱلْمُبِينِۖ (1) نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُومِنُونَۖ (2) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِے ٱلْاَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَۖ (3)". وأشار بيده إلى الشام، "وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ

[1]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ج1، ص70

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ج3،ص 116

[3] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه،ص119

[4]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص91

عَلَي ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلَارْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ (4) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلَارْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ (5)"[1] وأشار بيده نحو العراق.[2]

ورفع اليد إلى السماء إشارة إلى الدعاء جاء في البيان أنّ قيس بن سعد إذا أكل الناس رفع يده إلى السماء وقال:" اللهم إني لا أصلح على القليل، ولا يصلح القليل لي. اللهم هب لي حمدا ومجدا، فإنّه لا حمد إلا بفعال، ولا مجد إلا بمال."[3]أما رفعها بباطنها فهو إشارة إلى الدعاء و رفعها بظاهرها فهو إشارة إلى الاستعاذة بالله، روى عن محمد بن عليّ، عن آبائه، عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنّه قال: إذا سالتم الله فسلوه بباطن الكفّين، وإذا استعذتموه فاستعيذوه بظاهرهما."[4] كما أنها من الحركات المستحبة لما فيها من دلالة عميقة على الخضوع في الدعاء واليقين بالإجابة، سأل قتيبة بن مسلم عن محمد بن واسع، وقال: انظروا ما يصنع؟ فقالوا: هاهو ذا في أقصى الميمنة جانحا على سية قوسه، ينضنض بإصبعه نحو السماء. قال قتيبة: تلك الإصبع الفاردة أحب إلى من مائة ألف سيف شهير وسنان طرير"[5]

وقال لبيد بن ربيعة في الإشارة(بحر الطويل):

غلب تشذّر بالذحول كأنها ... جنّ البدي رواسيا أقدامها[6]

و"تشذر" هنا تعني رفع اليد ووضعها إشارة على التهديد، وكذا رفع اليد ووضعها لأنهم كانوا يفعلون ذلك إذا تفاخروا وتثالبوا. ومما ذكره الجاحظ في تحريك اليد والإشارة بها تهديدا ووعيدا عندما قال:ولما اجتمع الناس، وقامت الخطباء لبيعة يزيد، وأظهر قوم الكراهة.قام رجل من عذرة يقال له يزيد بن المقنع،

---

[1]. موقع سورة قرآن، المصحف الإليكتروني برواية ورش عن نافع، من الآية1 إلى الآية 5، سورة القصص.

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ج2، ص 300

[3] انظر، البيان والتبيين/ج4، ص 78

[4] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ج3، ص 289

[5]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص 273

[6]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص9

فاخترط من سيفه شبرا ثم قال : أمير المؤمنين هذا – وأشار بيده إلى معاوية – فإن مات فهذا – وأشار بيده إلى يزيد – فمن أبى فهذا – وأشار بيده إلى سيفه. فقال له معاوية: أنت سيد الخطباء."[1] فبقوله سيد الخطباء قد اطلق حكم البلاغة عليه في الإفهام من خلال الإشارة بيده إلى الأشخاص ثم إلى السيف.

كما يكون تحريك اليد وضرب اليدين بعضهما ببعض إشارة إلى التنبيه والتحذير وقد تغني عن الكلام وغيره في تأدية هذه المهمة التبليغية التواصلية، قال بعض الأعراب في هجاء قوم ووصفهم بالبخل وعدم إكرامهم الضيف(بحر الوافر):

فإن أبصرت شخصا من بعيد ... فصفق بالبنان على البنان[2]

فهنا ربما أمر صاحب البيت غلامه أن ينبهه بقدوم ضيف بالتصفيق. وقد يشير إليك أحدهم بيده فيأمرك بالتوقف عما أنت فاعله سواء أكان كلاما أو فعلا آخر، يقول:" نزل رجل من أهل العسكر فغدا بين يدي المأمون، وشكى إليه مظلِمته، فأشار بيده: أن حسبك."[3]

وقد يشار باليد وما تحتويه من أصابع وأجزائها لتعيين الأشخاص وللتعبير عن فضلهم فنقول عن شخص مثلا معروف:" يشار إليه بالبنان" أما الجاحظ في هذا المقام فقد أورد لنا مثالين كل واحد أبلغ من الآخر في دلالته وكانا في معرض مدح أبي جعفر المنصور:

فقال الأول(بحر المتقارب):

إذا قيل من عند ريب الزمان ... لمعترّ فهر ومحتاجها

ومن يعجل الخيل يوم الوغى ... بالجامها قبل اسراجها

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ج1، ص 300

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ج3، ص 190

[3] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص377

أشارت نساء بني مالك ... إليك به قبل أزواجـــها

وقال الآخر(بحر المتقارب):

إذا قيل من عند ريب الزمان ... لمعترّ فهر ومحتاجها

ومن يعجل الخيل يوم الوغى ... بالجامها قبل اسراجها

أشارت نساء بني مالك ... إليك به قبل أزواجها [1]

وهكذا فإنّ لليد فضل في تعيين المقصود تعيينا يغني عن ألفاظ كثيرة، وهي رمز للقوة والتحكم في زمام الأمور، برفعها وخفظها ، وإشارة تنبيهية تغني عن أي وسيلة تنبيهية سواها.

2. الوضع والوقفة:

جاء في البيان: حين أعطى الله الإنسان من الاستطاعة والتمكين، وحين فضله على جميع الحيوان بالمنطق والعقل والاستطاعة، بطول استعمال التكلّف ذلت جوارحه لذلك، ومتى ترك شمائله على حالها، ولسانه على سجيته، كان مقصورا بعادة المنشأ على الشكل الذي لم يزل فيه، وهذه القضية مقصورة على هذه الجملة من مخارج الألفاظ، وصور الحركات والسكون.[2] **و**قال:"وحُسنُ الإشارة باليد والرأسِ مِن تمام حسن البيان باللسان مع الذي يكون مع الإشارة من الدَّل، والشَّكل، والتقَتُّل، والتَثَنّي، واستدعاء الشّهوة وغير ذلك من الأمور."[3]

إن طريقة الوقوف وهيئة الجلوس، وحتى نمط المشية قد تكون له دلالات عديدة، فتتنوع تلك الدلالات والمعاني بتنوع الوقفات والجلسات والمشيات.

---

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص 372

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ج1، ص70

[3] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص 79

وذكر الجاحظ لهاته التفاصيل إنما هو تأكيد منه على أنها تحمل معان ربما لا يستطيع المنطق أن يبلغها فجلسة المستعد ووقفته أو مشيته تختلف تماما في هيئتها عن جلسة المتراخي أو وقفته أو مشيته. ومثلها جلسة القلق وجلسة المطمئن وغيرها. وهكذا القول في المشية والوقفة. وفي معرض الكلام عن المشية وهيئتها قال:" وكان الرشيد إذا طاف بالبيت جعل لإزاره ذنبين عن يمين وشمال ثم طاف بأوسعَ من خطو الظليم و أسرع من رجع يد الذئب" ونظر إليه أعرابي في تلك الهيئة فقال:"خطو الظليم ريع مُمسًى فانشمر"[1] ومما استدل به كذلك على المشية ودلالاتها، قول رسول الله– صلى الله عليه وسلم:"سرعة المشي تذهب ببهاء المؤمن"[2].

وجاء في البيان أيضا كتعبير عن الوضع: وقال أبو الحسن: أجرى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الخيل وسبق بينها، فجاء فرس له أدهم سابقا، فجثا رسول الله– صلى الله عليه وسلم– على ركبتيه، وقال:" ماهو إلا بحر"[3]فالمرء قد يجثو على ركبتيه تواضعا وتعبيرا على نشوة الانتصار وتعبيرا عن ارتياح صاحبه بعد ضغط وغيرها. وكمثال أيضا من البيان على نمط مشية يصفها شاعر فيقول(بحر الوافر):

متى ما تلق منا ذا ثناء ... يَؤُزُّ كأنّ رجليه شجار[4]

و" يؤزّ" هنا من الأزّ وهو الحركة الشديدة.ومما رواه لنا الجاحظ كمثال على ما تفيده هيئة الجلوس أنّ رجلا لما أدخل على امرأته فرأت منه ما رأت من الجفاء والجهل، وجلس في ناحية منقبضا

[1]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص126
[2]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ج2، ص 28
[3]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص 29
[4]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان و التبيين/ج4، ص49

مشتملا"[1]وهذه تكون إشارة حمق منه.وقال الزبير ردا على أبي ذر:" يكفينا من خضمكم القضم ومن نصكم العَنَق"[2] والعنق ضرب من السير.

3. المساحة الشخصية:

ومن أشكال التواصل الإشاري التي تفطن إليها الجاحظ في معرض حديثه عن التواصل المساحة شخصية أو الحيّز المكاني بين أطراف الحديث، وعدم احترام الحيز المتعارف عليه من قبل المجموعة المتواصلة زيادة أو نقصاً يجعل عملية التواصل في وضع غير طبيعي. والمحافظة على هذا الحيّز الشخصي قربا وبعدا له دلالات عديدة تختلف باختلاف معنى القرب والبعد.يقول الجاحظ:"فأمّا الإشارة فباليد، وبالرأس، وبالعين والحاجب والمَنْكِب، إذا تباعَدَ الشخصان، وبالثَّوب وبالسَّيف"[3]

واستشهد على أهمية المسافة بين المتواصلين عندما ذكر الموقف الآتي: «كان شبيب بن شَيْبَة يُسَايِرني فِي طَرِيق خُرَاسَان فَيَتَّقدمني بِصَدْر دابّته، فَقَالَ لِي يَوْمًا: يَنْبَغِي لِمَنْ سَايَرَ خَلِيفَة أَنْ يَكون بِالْمَوْضِعِ اَلَّذِي إِذَا أَرادَ اَلْخَليفَة أَنْ يسأله عَنْ شَيْء لا يَلْتَفِت إِلَيْهِ. وَيَكُون مِنْ نَاحِيَة إِنْ اِلْتَفَتَ لَمْ تَسْتَقْبِلهُ اَلشَّمْس، قَالَ فبينما نَحْنُ كَذَلِك إذ اِنْتَهَيْنا إِلى مخاضة فَاقْتَحَمت دَابَّتي وَلَمْ يَقِفوَا تَّبَعَني فَملأ ثِيابي مَاء وَطِينًا قَال فَقُلْت: يَا أَبا مُعَمَّر لَيْسَ هَذَا فِي اَلكِتَاب؟[4]."

ومن هذا فالجاحظ قد حددّ الأماكن التي تتوزع بين أطراف الحديث، ليأخذ كل شخص المكان الذي يناسب موقعه وحجمه الاجتماعي، وقربه أو بعده من الأمير.وروى أنّ المهلب مرّ بأهل زوجته وكان أخوها أحمق، فجاء وأخوها جالس وعنده جماعة فلم يوسّع له، فجلس المهلب ناحية ثم أقبل عليه فقال له:

---

[1]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان و التبيين/ج2، ص 225

[2]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان و التبيين/ج3، ص 154

[3]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان و التبيين/ج1، ص 77

[4]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان و التبيين/ج2، ص256-257

ما فعل ابن عمك فلان؟ قال: حاضر. فقال أرسلْ إليه. ففعل، فلما نظر غليه غير مرفوع المجلس، قال يا ابن اللخناء، المهلب جالس ناحية وأنت جالس في صدر المجلس؟.[1]

كما أورد الجاحظ ما قال ابن المقفع عندما سئل عن قول عمر – رحمه الله–:" ما يتصدعني كلام كما تتصدعني خطبة النكاح" قال: ما أعرفه إلا أن يكون أراد قرب الوجوه من الوجوه، ونظر الحداق من قرب في أجواف الحداق، ولأنه إذا كان جالسا معهم كانوا كأنهم نظراء وأكفاء، فإذا علا المنبر صاروا سوقة ورعية."[2]

4. نبرة الصوت:

قد يجسد المرسل دلالات مختلفة من كلامه إذا قرنها بالنبر والتنغيم، وهما صفتان للصوت، فدرجات الصوت رفعا وخفضا قد يكون له دور كبير في التأثير على المتلقي ويثير انتباهه بشكل متفاوت ومتغير بتغير مستوى التنغيم، وإشارة الصوت نبرا وتنغيما هي من الإشارات التي غالبا ما تكون مصاحبة للفظ، شارحة له داعمة، يقول الجاحظ:" والصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت"[3] وقد تحدث الجاحظ على الصوت من جوانب عديدة فذكر أنه يعاب على الرجل دقة صوته وضيق مخرجه وضعف قوته، أن يعتري الخطيب البهر والارتعاش والرعد والعرق.[4] قال سلمة بن عياش(بحر الطويل):

---

[1] انظر، البيان والتبيين/ج4، ص 8

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان و التبيين/ج1، ص 117

[3] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص 79

[4] انظر، البيان والتبيين/ج1، ص133

كأنّ بني رألان إذ جاء جمعهم ... فراريجُ يلقى بينهن سويق[1]

وفي المقابل كانوا يمدحون جهارة الصوت في الرجل، قال:" وقد كان العباس جهير الصوت، وقد مدح بذلك وقد نفع الله المسلمين بجهارة صوته يوم حنين، حين ذهب الناس عن رسول الله؛ فنادى العباس: يا أصحاب سورة البقرة، هذا رسول الله. فتراجع القوم وأنزل الله- عزّ وجلّ- النصر وأتى بالفتح."[2]وذكر الجاحظ في البيان أيضا قول شاعر في شدة الصوت(بحر الطويل):

لو أنّ الصخور الصمّ يسمعن صلقنا ... لرحن وفي أعراضهن فطور

والصلق: شدة الصوت.[3]

وفي تفضيل جهارة الصوت في الخطب يقول شبة بن عقال بعقب خطبته(بحر الطويل):

ألا ليت أم الجهم والله سامع ... ترى حيث كانت بالعراق مقامي

عشية بذّ الناس جهري ومنطقي ... وبذّ كلام الناطقين كلامي[4]

وقال شاعر آخر يصف شدة صوت مقاتل في الحرب(بحر الطويل):

ويوم بمكروثاء شدّت معتّب ... بغاراتها قد كان يوما عصبصبا

فأسقط أحبال النساء بصوته ... عُفَيف وقد نادى بنصر فطرّبا[5]

وهو هنا يزعم أن النساء سمعن صوت المقاتل عفيف حتى أسقطن أحبالهن من شدة جهارة صوته.

[1]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص 39
[2]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص 123
[3]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص 124
[4]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص 127
[5]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص 128

ويذكر الجاحظ لنا قصة في هذا الشأن إلا أن جهارة الصوت فيها صفة مذمومة في صاحبها لأنها لم تكن موافقة للمقام التواصلي:

"وكانَ عَلى شُرَط زِياد، عَبْد اَللَّه بْن حَصن التغلبي صاحِب مقبرَة بني حصن والجعد بن قَيْس اَلنّمِيرِيّ صاحِب طاق الجعد وَكانا يَتَعَقَّبانِ مَجْلِس صاحِب اَلشُّرْطَة فَإِذا كانَ يَوْم حَمْل الحَرْبَة سارا بَيْن يَدَيْهِ مَعًا فَجَرَى بَيْنهما كَلام وَهُما يَسِيرانِ بَيْن يَدَيْهِ فكانَ صَوْت الجعد أَرْفَع وَصَوْت عَبْداَللَّه أُخَفَض، فَقالَ زِياد لِصاحِب حرسه: تَناول اَلحَرْبَة مِنْ يَد الجعد وَمُرْهُ بِالِانْصِراف إِلَى مَنْزِله [1]"فلم يكن من المناسب للجعد أن يكون صوته أعلى من صوت قائده؛ لأن البعد الصوتي رفعا وخفضا يفضي إلى طبيعة العلاقة بين المتواصلين، و يكشف عن شخصية صاحبه، ونظرته لنفسه و لمقابله، وتجاوز ذلك –كما في القصة التي ذكرها الجاحظ– يؤدي إلى اختلال العملية التواصلية.

كما ساق لنا الجاحظ نبأ الأعراب الذين كانوا ينادون النبي (صلى الله عليه وسلم) بصوت مرتفع. قال: "ونادى رجالٌ من وفد بني تميمٍ النبيّ صلى الله عليه وسلم باسمه من وراء الحجرات[2]، فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَّرَآءِ ٱلْحُجُرٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ (4)﴾[3] ، وقال الله جلّ ذِكْرُه:﴿ ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضاً ۝﴾[4]فالله بذلك يؤدب المؤمنين في ألا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل في مخاطبة ممن عداه، بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم.

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ج2، ص 256

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ج2، ص332

[3] موقع سورة قرآن، المصحف الإليكتروني برواية ورش عن نافع، الآية 4، سورة الحجرات.

[4] موقع سورة قرآن، المصحف الإليكتروني برواية ورش عن نافع، من الآية 61، سورة النور

5. الهيئة الخارجية:

فكما سبق الذكر فيها فإنها تشمل كل ما له علاقة بالمظهر الخارجي للإنسان من شكل جسم وما تعلق بأعضائه، وملبس وحليّ وشعر وتسريحة شعر وما يحمله المرء فيشير إلى دلالة خاصة معينة كجنسه وعمره وثقافته وأصله وغيرها، والجاحظ بدوره أفاض في هذا الجانب خاصة في ما يخص العصا عند العرب والذي أفرد لها بابا في كتابه كان ردا من على الشعوبية التي عابت على العربي حمل العصي أثناء الخطب.يقول الجاحظ:" وكل ما زادوه في الأبدان، ووصلوه بالجوارح فهو زيادة في تعظيم تلك الابدان"[1]وهو هنا يؤكد على أنّ ايّ إضافة للشخص أثناء عملية التواصل أو قبلها وبعدها إنما هي إضافة في عملية الإفهام.

ومن الأمثلة التي ساقها الجاحظ لنا تتعلق بالشكل الخارجي لأعضاء جسم الإنسان قوله:"وقع بين فتى من النصارى وبين ابن فهريز المطران كلام، فقال له الفتى: ما ينبغي أن يكون في الارض رجل واحد أجهل منك. وكان ابن فهريز في نفسه أكثر الناس علما وأدبا، وكان حريصا على الجثلقة. فقال للفتى: وكيف حللت عندك هذا المحل؟ قال: لأنك تعلم أنّا لا نتخذ الجاثليق إلا مديد القامة، وأنت قصير القامة، ولا نتخذ إلا جهير الصوت جيّد الحلق، وأنت دقيق الصوت ردئ الحلْق، ولا نتخذه إلا وهو وافر اللحية عظيمها وأنت خفيف اللحية صغيرها، وأنت تعلم أنا لا نختار للجثلقة غلا رجلا زاهدا في الرياسة، وأنت أشد الناس عليها كلبا، وأظهرهم لها طلبا. فكيف لا تكون أجهل الناس وخصالك هذه كلها تمنع من الجثلقة، وأنت قد شغلت في طلبها بالك، وأسهرت فيها ليلك؟"[2] وأورد بيتا لأبي عبيدة يقول فيه(بحر المتقارب):

[1]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ج3، ص 119

[2]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين/ج1، 125

وصلع الرؤوس عظام البطون ... رحاب الشداق غلاظ القصر[1]

ثم ساق لنا مثالا يصف فيه الشاعر جماعة من الناس(بحر المتقارب):

وجاءت قريشٌ قريشُ البطاح ... هي العُصَبُ الأول الداخله

يقودهم الفيل والزندبيـــــل ... وذو الضرس والشفة المائله

ذو الضرس وذو الشفة هو خالد بن سلمة المخزومي الخطيب، الفيل والزندبيل: أبان والحكم ابنا عبد الملك بن بشر بن مروان.[2]

قال: وتكلم يوما عند معاوية الخطباء فأحسنوا، فقال: والله لأرمينهم بالخطيب الأشدق، قم يا يزيد فتكلم.[3]

والشِّدْقُ: جانب الفم مما تحت الخد، وكانت العرب تمتدح رحابة الشدقين لدلالتها على جهارة الصوت.

وكما كانت العرب تمتدح رحابة الشدقين كانت تعيب ضيق الأفواه، واستدل الجاحظ على ذلك ببيتي الشعر، قال شاعر(بحر الطويل):

لحى الله أفواه الدَّبى من قبيلة ... إذا ذكرت في النائبات أمورها

وقال آخر(بحر الوافر):

وأفواه الدبى حاموا قليلا .... وليس أخو الحماية كالضجور

وإنما شبه أفواههم بأفواه الدبى، لصغر أفواههم وضيقها.[1]

---

[1]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص122

[2]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص130

[3]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص122

ولم يغفل الجاحظ عن جانب اللباس والحلي والهيئة التي تظهر من الشكل الخارجي للشخص وأورد لنا أمثلة كقصة الخطيب الذي يُبدي هيئة رثة ويخفي بلاغة غزيرة وهو أَبو واثلة إِيَاس بْن مُعَاوِيَة المزني القاضي ففي الموقف الذي حكاه:

"وأتى حَلْقَة مِنْ حلَق قُرَيْش فِي مَسْجِد دِمَشْق فَاسْتَوْلى عَلَى اَلْمَجْلِس وَرَأَوْه أَحْمَر دَمِيمًا باذّ اَلهَيْئَة قَشِفًا فَاسْتَهانُوا بِهِ فَلَمَا عَرَفوهُ اِعْتَذَروا إِلَيْهِ وَقَالوا له: اَلذَّنْب مَقْسُوم بَيْننا وَبَيْنك أَتَيْتنا فِي زِيّ مِسْكين وتُكَلَّمُنا بِكَلَام اَلْمُلُوك"[2]

ففي هذا الموقف أرسل ذلك القاضي رسائل متناقضة، الأولى تتمثل في هيئته وملابسه التي أعطتْ انطباعا سلبياً لدى السامعين، والثانية في منطقه وكلامه التي عيّنتْ خصائص المتحدث الفعلية من المنطق الحسن، والمكانة المرموقة. ولذلك نقل الجاحظ عن أهل الهند: "جِمَاع اَلبَلَاغَة اِلْتِمَاس حَسن المَوْقِع، وَالْمَعْرِفَةُ بِسَاعَات اَلْقَوْل، وَقِلَّة الخَرَقِ بِمَا اِلْتَبَسَ مِن اَلمَعَانِي أَوْ غَمُضَ، وَبِمَا شَرَدَ عَلَيْك مِن اَللَّفْظ أَو تَعَذَّر. ثُمَّ قَال: وَزَينُ ذَلِكَ كُلّه وبهاؤه وَحَلَاوَته وَسَنَاؤُهُ أَنْ تَكُون اَلشَّمَائِل مَوْزُونَة، وَالأَلْفَاظ مُعَدَّلَة، وَاللَّهْجَة نَقِيَّة، فَإِنْ جَامَع ذَلِكَ اَلسَّنّ والسمت وَ الجَمَال وَطُول اَلصَّمْت فَقَد تَمَّ كُلّ التَّمَام و كَمُلَ كُلّ الكَمَال." وخالَفَ عليه سهلُ بن هارونَ في ذلك، وكان سهلٌ في نفسه عتيقَ الوجه، حسنَ الشّارةِ، بعيداً من الفَدَامة، معتدل القامة، مقبول الصُّورة، يُقضَى له بالحكمة قبل الخبرة، وبِرقّةِ الذِّهن قبل المخاطبة، وبدقّة المذهب قبل الامتحان، وبالنُّبْل قبل التكشُّف، فلم يمنَعْه ذلك أن يقول ما هو الحقُّ عِنده وإن أدخَلَ ذلك على حالِه النَّقْص"[3]

---

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص122

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، 98

[3] انظر، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص 89/88

إن هذا البعد الخارجي يمثّل أهمية خاصة لدى الجاحظ، فلا يكتفي بمضمون الحديث وحده، بل هو يعطي توزيعات متناسبة لكل ما منْ شأنه أن يترك انطباعاً إيجابياً لدى المستمعين، ويكون له دور في عملية الاتصال من لفظ وغير لفظ، لتتواءم الصفات وتتكامل الخصائص. وهيئة المتحدث واحدة من أهم الخصائص التي تكشف عن المتحدث. وتلك نظرة اجتماعية متقدمة كشف عنها الجاحظ اللثام. يشهد لذلك أيضا القصة التي ذكرها عن ضَمْرة بن ضَمْرة:" لما دخل على النُّعمان بن المنذر، زَرَى عليه، للذي رأى مِن دَمامته وقِصَرِهِ وقِلّته، فقال النُّعمان: تَسْمَعُ بالمُعَيْديّ لا أنْ تراه، فقال: أبيتَ اللّعنَ إنّ الرّجالَ لا تُكال بالقُفْزان، ولا تُوزَن بالميزان، وليست بمُسوكٍ يُستَقَى بها، وإنَّما المرء بأصغريه: بقلبه ولسانه، إن صالَ صال بِجَنَانٍ، وإن قال قال بِبَيان"[1]

فتحامل ضمرة على نفسه ليعطي رسالة إيجابية من منطوقه تنقض الرسالة السلبية التي بعثتها هيئته وشكله.

يقول الجاحظ:" ولما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد المهلب في شأن إبراهيم بن عبد الله وصار إلى المنصور، أمر الربيع بخلع سواده والوقوف به على رأس اليمانية في المقصورة يوم الجمعة ثم قال: قل لهم..."وقد كان لبس السواد شعار العباسيين.[2]

وأخيراً يورد الجاحظ لنا مثالاً يتبين أثر الملابس في المقام الكلامي لكنه يعكس النتيجة، إذ يرى الموضوع من زاوية استعظام الشيء حين يصدر من غير المتوقع منه، ويعظم مقام الشخص باذ الهيئة حين يصدر منه كلام عالي الشأن، إذ لم يكن ذلك متوقعاً منه. حيث ينقل عن سَهْل بْن هَارُون:" لو أن رجلين خطبا أو تحدثا، أو احتجا أو وصفا وكان أحدهما جميلا جليلا بهيا، ولباسا نبيلا، وذا حسب شريفا،

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص 171

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيّن/ج3، ص 373

وكان الآخر قليلا قميئا، وباذّ الهيئة دميما، وخامل الذكر مجهولا، ثم كان كلامهما في مقدار واحد من البلاغة، وفي وزن واحد من الصواب، لتصدع عنهما الجمع وعامتهم تقضي للقليل الدميم على النبيل الجسيم، وللباذ الهيئة على ذي الهيئة، ولشغلهم التعجب منه عن مساواة صاحبه به، ولصار التعجب منه سببا للعجب به، ولصار الإكثار في شأنه علة للإكثار في مدحه، لأن النفوس كانت له أحقر، ومن بيانه أيأس، ومن حسده أبعد. فإذا هجموا منه على ما لم يكونوا يحتسبونه، وظهر منه خلاف ما قدروه، تضاعف حسن كلامه في صدورهم، وكبر في عيونهم لأن الشيء من غير معدنه أغرب، وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم وكلما كان أبعد في الوهم كان أطرف، وكلما كان أطرف كان أعجب، وكلما كان أعجب كان أبدع. وإنما ذلك كنوادر كلام الصبيان وملح المجانين، فإن ضحك السامعين من ذلك أشد، وتعجبهم به أكثر. والناس موكلون بتعظيم الغريب، واستطراف البعيد، وليس لهم في الموجود الراهن، وفيما تحت قدرتهم من الرأي والهوى، مثل الذي زهّد الجيران في عالمهم، والاصحاب في الفائدة من صاحبهم. وعلى هذا السبيل يستطرفون القادم عليهم، ويرحلون إلى النازح عنهم، ويتركون من هو أعم نفعا وأكثر في وجوه العلم تصرفا، وأخف مؤونة وأكثر فائدة "[1].

فهنا الجاحظ –كما نقل عن سهل بن هارون– يرى أن هيئة الخطيب ومظهره الخارجي لا يجب الاعتماد عليهما في التأدية البلاغية، لأن ذلك ليس دليلاً حتمياً على قدرة المتكلم ومكانته، بل قد يكون العكس هو الصحيح، حين تأتي البلاغة من الشخص البسيط رث الهيئة، الذي قد يوحي شكله الباذ إلى حظه القليل من العلم والتأدب، رغم كون هيئة الشخص وشكله يعطي الانطباع الأول، وحين يُعدم الكلام يكاد يكون المظهرُ المصدرَ الوحيد للمعلومات.

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص90/89

وقال مسلمة:" ثلاثة لا أعذرهم: رجل أحفى شاربه ثم أعفاه، ورجل قصّر ثيابه ثم أطالها، ورجل كان عنده سراري فتزوج حرّة"[1].

وفي صدد حديثه عن الهيئة الخارجية ضرب لنا أمثلة عن العمائم وكيف كانت العرب تعظمها وتعلي من شأنها، فقال: قال عمر:" العمائم تيجان العرب" وقال: وقيل للحجاج: من أخطب الناس؟ قال: صاحب العمامة السوداء بين أخصاص البصرة"[2]

وقال زيد بن كثوة العنبري(بحر الطويل):

منعت من العهار أطهار أمه ... وبعض الرجال المدعين زناء

فجاءت به عبل القوام كأنما ... عمامته فوق الرجال لواء

يقول الجاحظ:" لأن العمامة ربما جعلوها لواء، ألا ترى أنّ الأحنف بن قيس، يوم مسعود ابن عمرو حين عقد لعبس بن طلق اللواء، إنما نزع عمامته من رأسه فعقدها له. وربما شدوا بالعمائم أوساطهم عند المجهدة، وإذا طالت العُقبة ولذلك قال شاعرهم(بحر الطويل):

فسيروا فقد جن الظلام عليكم ... فباست امرئ يرجو القرى عند عاصم

دفعنا إليه وهو كالذيخ خاظيا ... نشدّ على أكبادنـــــــا بالعمائـــم[3]

وضرب لنا مثلا آخر في ذكر العمامة قول ابن قنان المحاربي(بحر المنسرح):

أقول لما جئت مجلسهم ... قبح الإله عمائم الخزّ

لولا قتيبة ما اعتجرت بها ... أبدا ولا أقعيت في غرز

---

[1]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيّن/ج2، ص 97

[2]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبين/ج2، ص287/286

[3]أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبين/ج3، ص 105

عجبا لهذا الخزّ يلبسه ... من كان مشتاقا إلى الخبز

من كان يشتو في عباءته ... متقبضا كتقبض العنز[1]

وذكر ما تمسكه المرأة عند النوح وما يصاحب ذلك من حركات تعبر بها عن شدة حزنها وفجعها يقول:" وعلى ذلك المعنى أشار النساء بالمآلي وهن قيام في المناحات، وعلى ذلك المثال ضربن الصدور بالنعال."[2] وساق قول الشاعر(بحر الطويل):

وقام بناتي بالنعال حواسرا ... وألصقن وقع السِّبت تحت القلائد[3]

وعلى ذكر الملابس تحدث على دلالة بعضها عن الاستعداد والتأهب فساق لنا قول مساور الوراق لابنه(بحر الرجز):

شمّر قميصك واستعد لقائل ... واحكك جبينك للقضاء بثوم

واجعل صحابك كل حبر ناسك ... حسن التعهد للصلاة صؤوم.[4]

وفي معرض حديثه عن السيف و العصا أو كما أشار إليها في مواضع أخرى بالمخصرة أو الخيزرانة فقد ساق أمثلة عديدة يبرز فيها الدلالات التي يظهرها استعمالهما و طريقة رفعهما. فيقول في فاتحة باب العصا:" هذا أبقاك الله الجزء الثالث من القول في البيان والتبيين، وما شابه ذلك من غرر الأحاديث، وشاكله من عيون الخطب، ومن الفقر المستحسنة، والنتف المستخرجة، والمقطعات المتخيرة، وبعض ما يجوز في ذلك من أشعار المذاكرة، والجوابات المنتخبة، ونبدأ على اسم الله بذكر مذهب

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبين/ج4، ص 51
[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبين/ج3، ص117
[3] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبين/ج3، ص111
[4] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبين/ج4، ص 175

الشعوبية ومن يتحلى باسم التسوية وبمطاعنتهم على خطباء العرب: بأخذ المخصرة عند مناقلة الكلام..."[1]

كما عدد الجاحظ في بيانه فضائل العصا وفوائدها وشتى استعمالاتها وأسهب في ذلك، يقول:" وأما العصا فلو شئت أن أشغل مجلسي كله بخصالها لفعلت"[2] كما استدل الجاحظ على أهمية العصا بآي من القرآن ذكرت فيها العصا وأبرزت مكانتها ومنها قول الله –عزّ وجل–:" فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته غلا دابة الأرض تأكل منسأته" والمنسأة هي العصا، يقول الجاحظ:" والدليل على أن أخذ العصا مأخوذ من أصل كريم، ومعدن شريف... اتخاذ سليمان بن داود صلى الله عليه العصا لخطبته وموعظته ولمقاماته وطول صلاته ولطول التلاوة والانتصاب، فجعلها لتلك الخصال جامعة"[3] وذكر الجاحظ مواقف من قصص سيدنا موسى عليه السلام، وكيف أن السحرة استرهبوا الناس وسحروا عيونهم بالحبال فأعطى الله بعد ذلك الفضيلة للعصا حين ألقاها موسى لإعطاء البرهان.[4] سنحاول من خلال هذا الجزء حصر كلام الجاحظ عن العصا فيما له علاقة بالإشارة ذات الدلالة على المعنى وهي كثيرة وقد ساق لنا فيها أمثلة متنوعة، ومن ذلك حديث سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، واعتزام الملك على قتل أخيه إن هو لم يصب ضميره، فقال له سعد: أبيت اللعن اتدعني حتى أقرع بهذه العصا أختها؟ فقال له الملك: وما علمه بما تقول العصا؟ فقرع بها مرة وأشار بها مرة، ثم رفعها ثم وضعها، ففهم المعنى فأخبره ونجا من القتل."[5] وهذا مثال على استخدام العصا في لغة الإشارة وكيف تواصل بها الطرفان وفهم احدهما الآخر من خلال قرعها ورفعها و الإشارة بها فأنقذ الأول أخاه باستعمال الإشارة بالعصا و أنقذ الثاني نفسه حين فهم الإشارات التي أرسلت له باستعمال العصا. كما استعملت العصا لإظهار التأهب والاستعداد لأمر

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبين/ج3، ص6/5

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص 44

[3] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص 30

[4] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص 32

[5] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص 39

ما، وكان إذا ما رفع الخطيب مخصرته استعدادا لخطبته فهي إشارة منه على الإطناب والإطالة، حتى أنهم كانوا يحملونها معهم في الذهاب لقضاء حوائجهم توقعا لبعض ما يوجب حملها والإشارة بها.[1] يقول الجاحظ:" وإنما يكون العجز والذلة في دخول الخلل والنقص على الجوارح، وأما الزيادة فيها فالصواب فيه. وهل ذلك غلا كتعظيم كور العمامة، واتخاذ القضاة القلانس العظام في حمارة القيظ، واتخاذ الخلفاء العمائم على القلانس، فإن كانت القلانس مكشوفة زادوا في طولها وحدة رؤوسها حتى تكون فوق قلانس جميع الأمة"[2].

وأورد لنا قصة أخرى يظهر فيها بلاغة لغة الإشارة باستعمال العصا، قال:" حدثني بعض أصحابنا قال: كنا منقطعين إلى رجل من كبار أهل العسكر، وكان لبثنا يطول عنده، فقال له بعضنا: إن رأيت أن تجعل لنا أمارة إذا ظهرت لنا خففنا عنك، ولم نتعبك بالقعود، فقد قال أصحاب معاوية لمعاوية مثل الذي قلنا لك فقال: أمارة ذلك أن اقول: إذا شئتم، وقيل ليزيد مثل ذلك فقال: إذا قلت على بركة الله. وقيل لعبد الملك مثل ذلك فقال: إذا ألقيت الخيزرانة من يدي، فأيّ شيء تجعل لنا أصلحك الله؟ قال: إذا قلت يا غلام الغداء."[3] فنرى هنا أنّ عبد الملك قد آثر الإشارة بالعصا على الإشارة باللفظ لتبليغ ما يريد. وقد قال عبد الملك بن مروان:" لو ألقيت الخيزرانة من يدي لذهب شطر كلامي"[4] وهذا تأكيد منه على أنّ نصف كلامه إن هو عبارة على إشارات بالعصا يرافق بها المنطوق ويدعمه. كما كانوا يستعملون العصي و المخاصر في مجالسهم وقد استدل الجاحظ على ذلك بقول الشاعر(بحر الطويل):

---

[1] انظر، البيان والتبيّن،ج/3، ص 117

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص117

[3] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص42

[4] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص119

مجالسهم خفض الحديث وقولهم ... إذا ما قضوا في أمر وحي المخاصر[1]

وقال:" أراد معاوية سحبان بن وائل على الكلام، وقد كان اقتضبه اقتضابا، فلم ينطق حتى أتوه بمخصرة فرطلها بيده، فلم تعجبه حتى أتوه بمخصرة بيته."[2] وكانوا يقولون للرجل إذا أثرى وأفاد وكثرت نعمته:" ضع عصاك"، " ولقد وضع عصاه"[3]

وكان رفع العصا أو السيف وخفضهما إشارة على التهديد أو المسالمة، قال رجل:" طد رجلك إذا اعتصيت بالسيف والعصا، وأنت مخير في رفعها ساعة المسالمة والموادعة"[4].

وقال الجاحظ:" وقد يتهدد رافع السيف والسوط، فيكون ذلك زاجرا، ومانعا رادعا، ويكون وعيدا وتحذيرا."[5] وساق مثالا عن ذلك، وقال عليّ في رواية الشعبي: حملت إليكم درّة عمر لأضربكم بها لتنتهوا فأبيتم، حتى اتخذت الخيزرانة فلم تنتهوا، وقد أرى الذين تريدون: السيف، وإني لا أصلحكم بفسادي" فهنا هددهم بالعصا فلم ينتهوا فذهب على الإشارة إلى التهديد بالسيف لعلهم ينتهون.

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص42
[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص120
[3] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المرجع نفسه، ص124
[4] عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبين/ج2، ص 285
[5] عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبين/ج1، ص77

خاتمة

وختاما فقد عنيت الدراسة في هذا البحث بتأصيل مصطلح التواصل الإشاري عند الجاحظ من خلال كتابه" البيان والتبيين" بتقصي أكبر عدد من النماذج التطبيقية التي أوردها والتي بين لنا فيها البلاغة صورة أخرى و التي تمثلها الإشارات الجسدية وما يرافقها من ملحقات؛ فكانت المقاربة في ذلك بين المنجز الدلالي التراثي والمنجز الدراسات الحديثة عن طريق استثمار تلك الأمثلة والنماذج واستنطاقها ومحاورتها.

وقد أفضى بنا التأمل في تلك النماذج و الأمثلة والشواهد إلى النتائج الآتية:

- مدى احتفاء التراث العربي بالنصوص السيميائية التي كانت ذات قصدية تواصلية بحتة.
- العلاقة الكبيرة بين السيمياء الحديثة وعلم البيان الذي كان مدار درس الجاحظ في البيان والتبيين و الذي رسم خطواته الأولى تجاه السيميائية من خلال إدراكه لوجود طرفي التواصل المرسل والمتلقي بغية الوصول إلى غاية الإفهام من خلال الرسالة والشفرة أو القناة.
- التواصل الإشاري عنصر أساسي وضروري في الخطاب البلاغي الفعال والإقناع، فهو يُكمل ويزيد من قوة اللغة المنطوقة.
- للتواصل الإشاري أشكال مختلفة ومتعددة، مثل تعابير الوجه والإيماءات ولغة الجسد ووضعية الجسم، ولها قدرة كبيرة على نقل مجموعة واسعة من المعاني والعواطف
- للتواصل الإشاري علاقة كبيرة بعلم النفس البشري والمعايير الثقافية ودقائق التفاعلات الاجتماعية ويمكن دراسته عند الجاحظ انطلاقا من أي مجال من المجالات السابقة وليس فقط في إطار اللغة.

ولم يزل الجاحظ في بيانه يبين لنا أهمية الإشارة ولغة الجسد مؤيدا كلامه بآي قرآني وقطع نثرية وأبيات شعرية منها ماهو خاص بلغة العيون تلك التي تنفرد بدلالة تعبيرية شاملة قد تعجز عنها فصاحة المنطق، وبلاغته، ومنها ماهو خاص بدلالة اللباس وحمل العصا ورفع السيف وهيئة الجلوس ونمط

المشية؛ فيستقبلها المتلقي بمضامين مختلفة يحدد دلالاتها سياقها من فرح وحزن، دهشة أوجزع ،سلم أو عداوة، تواضع أو كبر، وغيرها،

وأخيرا آمل أن أكون قد وفقت ولو بالجزء اليسير والمفيد في بحثي هذا الذي اكتشفت من خلاله أن الجاحظ كان رائدا في مجال دراسة اللغة الجسدية والتواصل بها فقد استخدم أمثلة واقعية من الحياة اليومية التي كانت قبله وفي عصره لشرح مفاهيم التواصل الإشاري مما جعلها سهلة الفهم والتطبيق. كما أصرت نظريات الجاحظ وآراؤه بخصوص التواصل بالإشارة فيمن جاء بعده من العلماء فساهمت بتطوير الدرس اللغوي العربي بعده.

والبحث في نظريات الجاحظ لا يقتصر على كتاب البيان والتبيين وإن كان كتابا ضم العديد من النظريات التي ربما درسها العلماء بعده عربا وغربا كل على حدة في مجلدات مستقلة. فآمل أن يكون هذا البحث مفتاحا للبحث في آراء الجاحظ حول مسائل علمية أخرى من خلال نفس الكتاب أو غيره، وربما حتى دراسة بلاغة التواصل الإشاري في كتاب الحيوان أو غيره. كما يمكن استثمار أهم أفكار الجاحظ حول التواصل الإشاري في ميادين عديدة كالتربية والتعليم والتسويق والإدارة بشكل فعال.

قائمة المصادر والمراجع

1. إبراهيم أبو عرقوب، الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، دار المنظومة-2016، (د.ط)
2. أحمد بن محمد الفيومي المقري، المصباح المنير/ج2،،مكتبة لبنان-1987، (د.ط)
3. أحمد مختار عمر، أنا واللغة والمجمع، عالم الكتب- القاهرة/ط1-2002م.
4. إدريس بلمليح، الرؤية البيانية عند الجاحظ، دار الثقافة- الدار البيضاء(المغرب)،ط1/1984.
5. أزوالدديكرو/ جان ماري سشايفر، ترجمة منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، (د.ط)
6. إسماعيل بن أحمد، المختار من شعر بشار، تحقيق: محمد بدر الدين العلوي، مطبعة الاعتماد، (د.ط)
7. إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، دار ابن الحزم، ط 1/2000م، بيروت/ لبنان.
8. جلال الدين السيوطي، نزهة الجلساء في أشعار النساء، مكتبة القرآن، (د.ط)، القاهرة.
9. جمال الدين محمد بن منظور، لسان العرب/ج11،دار الكتب العلمية، ط2009.
10. جميل حمداوي، التواصل اللساني والسيميائي والتربوي،ط1/2015، المغرب.
11. حمادي صمو، التفكير البلاغي عند العرب؛أسسه وتطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية،1981.
12. سناء محمد سليمان، سيكولوجية الاتصال الإنساني ومهاراته، عالم الكتب/ط1-2014م.
13. صحيح الجامع |الصفحة أو الرقم | 4192 : خلاصة حكم المحدث : صحيح |التخريج : أخرجه أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (22/4) واللفظ له، وأخرجه البخاري (3347)، ومسلم (2881) باختلاف يسير/ عن موقع الدرر السنية.
14. العباس بن الأحنف، الديوان، تحقيق: عاتكة الخزرجي، دار الكتب المصرية،1954م.
15. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة/ط1-2004.

16. عبده الراجحي، اللغة وعلوم المجتمع، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط1-2013.

17. عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان/ج1، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، مصر،ط2-1965م.

18. عمر بن أبي ربيعة، الديوان، تحقيق: د.محمد عبد المنعم خفاجي/د. عبد العزيز شرف، المكتبة الأزهرية للتراث.(د.ط)

19. عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيّن، تحقيق: عبد السلام هارون،مكتبةالخانجي، القاهرة،ط7/1998م.

20. الفتح عثمان بن جني، الخصائص/ج1، تحقيق:محمد علي النجار،دار الكتب المصرية.

21. فريدينان دي سوسيير، علم اللغة العام، ترجمة: د.يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية،19850

22. القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع، إدارة البحوث والتأليف والترجمة بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ط25 الدار العلمية للنشر والتجليد، القاهرة.

23. مازن الوعر، البيان والتبيين في ضوء اللسانيات الحديثة، مجلة المعرفة-سوريا-1991م/ط331.

24. مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية/ط4-2004م.

25. محمد الأمين موسى أحمد، الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم، دائرة الثقافة والإعلام-الشارقة/ط1-2003م.

26. محمد الصالح بوضياف، مقال بحثي: لغة الجسد في التراث البلاغي، كتاب البيان والتبيين للجاحظ نموذجا، مجلة العلامة، العدد6/ جوان 2018

27. محمد العبد، العبارة والإشارة(دراسة في نظرية الاتصال)، مكتبة الآداب، ط2/2007م.

28. محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها،أفريقيا الشرق1999.(د.ط)

29. محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن/ج5، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة،ط 2006/1م.

30. محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري،مكتبة لبنان/ط1991.

31. مسلم بن الحجاج النيسابوري، كتاب الإيمان من صحيح مسلم،ط2011/1م.

32. مهدي أسعد عرار، البيان بلا لسان دراسة في لغة الجسد، دار الكتب العلمية/2007.

33. موقع الدرر السنية:https://dorar.net/

34. النابغة الذبياني، الديوان، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية،بيروت،ط1996/3م.

35. نتالي باكو، لغة الحركات، دار الجيل–بيروت/ط1.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	1
الشكر	2
الملخص	3
مقدمة	أ
الفصل الأول: نظرية التواصل	01
1. نظرية التواصل	02
1.1. تعريف التواصل لغة واصطلاحا	02
1.2. عناصر التواصل	04
1.3. أنواع التواصل	08
1.4. أشكال التواصل عند الجاحظ	10
2. التواصل الإشاري:	12
2.1. تعريف الإشارة لغة واصطلاحا	12
2.2. أنواع الإشارة	14
2.3. وظائف الإشارة	17
2.4. الإشارة قبل الجاحظ	18
2.5. الإشارة في الدرس اللساني الحديث	21
الفصل الثاني:(تطبيقي) بلاغة التواصل الإشاري من خلال كتاب البيان والتبيّن	25
1. الإشارة في بيان الجاحظ	26
1.1. الإشارة من منظور الجاحظ	26
1.2. أهمية الإشارة عند الجاحظ	27
1.3. أصناف الإشارة عند الجاحظ	28
2. تطبيقات التواصل الإشاري في كتاب البيان والتبيين وبلاغتها.	31
2.1. حركات الجسد	32
2.2. الوضع والوقفة	43
2.3. المساحة الشخصية	45
2.4. نبرة الصوت ودرجته	46
2.5. الهيئة الخارجية	49
خاتمة	59
قائمة المصادر والمراجع	62
فهرس المحتويات	67